آثار نينوى

او

تاريخ تلكيف

تأليف

يوسف هرمز جمو

صاحب جريدة صوت الشعب

مطبعة الامة * بغداد

سنة ١٩٣٧

طبعة ثانية منقحة ومزيدة

الناشر: ابناء المؤلف

المطبعة الشرقية – ميشيگن ١٩٩٣

آثار نينوى

او

تاريخ تلكيف

تأليف

يوسف هرمز جمو

صاحب جريدة صوت الشعب

﴿جميع الحقوق محفوظة﴾

مطبعة الامة * بغداد

سنة ١٩٣٧

طبعة ثانية منقحة ومزيدة

الناشر: ابناء المؤلف

المطبعة الشرقية – ميشيگن ١٩٩٣

اهداء الكتاب

الى الشبيبة النبيلة ابناء مدينة تلكيف فخر المدن المسيحية في العراق. الى اولئك المنبثين في القطر العراقي والاقطار البعيدة عن مسقط رأسهم ورأس آبائهم. اولئك الذين لا زالوا يفتخرون باصلهم ولغة آبائهم واجدادهم. الى اولئك الذين يرفعون رأس ملتهم عاليا، بآدابهم وعلومهم وكرم اخلاقهم واستقامتهم. الى اولئك الذين يعتزون بحسبهم ونسبهم ولا يرضون عنهما بديلا. الى اولئك الذين تربطهم القرابة والاخوة والمحبة بابناء بلدتهم، سواء في الوطن او في الغربة، اهدي كتابي هذا راجيا ان ينال من لدنهم القبول والاستحسان.

حزيران ١٩٣٧

يوسف هرمز جمّو

الفهرس

صفحة

اهداء الكتاب........ ٣

تقريض الكتاب........ ٥

المقدمة........ ٧

كلمة عن المؤلف........ ٩

وثائق تاريخية عن المؤلف........ ١٤

القسم الاول

الفصل الاول: تاريخ مدينة تلكيف وجغرافيتها........ ٩١

الفصل الثاني: طبيعة اراضيها وآثارها الباقية........ ٢٥

الفصل الثالث: اصل المدينة، سكانها وخصائصهم........ ٣٧

الفصل الرابع: اخبار رجال تلكيف ورؤسائها........ ٥١

الفصل الخامس: اوضاعها الدينية، اشهر كهنتها وادبائها........ ٦١

الفصل السادس: الزواج والعادات الاجتماعية........ ٧١

القسم الثاني

الفصل الاول: اهالي تلكيف في الخارج، اسباب تنقلهم وهجرتهم........ ٨٥

الفصل الثاني: تاريخ الهجرة واوضاع المهاجرين........ ٩١

الفصل الثالث: الجالية التلكيفية في بغداد........ ٩٩

الفصل الرابع: تلكيف في عهدها الحالي........ ١٠٩

ملحق الكتاب: الرئيس داود سيسي........ ١١٧

تقريظ الكتاب

بقلم صاحب المعالي السيد يوسف غنيمة
وزير المالية سابقا ومدير المصرف الزراعي الصناعي حاليا

حضرة الاستاذ يوسف هرمز جمّو المحترم.

اشكركم على هديتكم النفيسة كتابكم «تاريخ تلكيف» وتحقيقا لرغبتكم فقد طالعته مليا ووضعت هذه المقدمة الوجيزة.

اقدر الجهود التي بذلتموها في وضع هذا المؤلف لان الموضوع جديد لم يسبقكم احد اليه ولم يكتب مؤرخ كتابا عن تاريخ هذه القرية. فباقدامكم هذا فتحتم بابا جديدا للباحثين المدققين والعلماء المحققين الذين تتوفر لهم الوسائط العالمية من خزائن كتب خطية وكنوز مؤلفات مطبوعة نزرة للخوض في هذا الموضوع والتوسع فيه. ولكنكم ستبقون على كل فائزين بقصب السبق والتقدم على غيركم.

يقدر مشقة عملكم هذا كل من عالج موضوعا لم يطرقه غيره قبله ولهذا فانكم تُشكرون على تأليفكم هذا وتُحمدون على جهودكم. حسنا عملتم بجمع حوادث تاريخ تلكيف تلك القرية العراقية الزراعية الآهلة بالسكان النشيطين الخصبين بالانتاج والذين يعركون الدهر في حلبة الكفاح الحيوي والمشهورين بالاخلاص لدولتهم ووطنهم والمتعلقين بارضهم وقريتهم حيث حلوا ويحنون اليها حيث هاجروا ويمدونها بالمال حيث كانوا ويرجعون اليها والى تربتها في الشيخوخة. في كتابكم حسنات كثيرة واهنئكم عليها غير ان لي ملاحظات طفيفة لا تنقص شيئا من قدر الموضوع فاسمحوا لي ان ابديها كما رغبتم الي:

اولا: ان البت في اصل التلكيفيين اي عنصريتهم يحتاج الى اعادة نظر لانهم على ماظن لا يختلفون من حيث العنصر عن سائر سكان الموصل وقراها الساميين ولا دخل للدين في العنصرية غير اني اوافقكم بلا جدل انهم من سكان العراق العريقين في القدم.

وعلى كل فان البت في مثل هذه القضية اي قضية العنصرية امر يتردد فيه علماء اجناس البشر ولا يعالجونه الا بحذر.

ثانيا: جاءت بعض الحوادث عارية عن تاريخ زمن حدوثها ولو بذكر القرن فقط.

ثالثا: يحتاج الكتاب في بعض المواطن الى اعادة نظر من حيث اللغة وتصليح الهفوات المطبعية في الطبعة الثانية.

رابعا: قد تشوه بعض الرسوم في الطبع مع ان موضوعها نفيس ولا سيما وان كثيرا من الازياء سيتغير مع الزمن وحفظ رسمها ضروري وثمين له قيمته التاريخية للذين يبحثون في الازياء.

هذه هنات هينات لا تعد شيئا تجاه الحسنات توفقون في تلافيها بالطبعة الثانية.

اكرر في الختام تقديري لكتابكم حق قدره واتمنى له رواجا ونجاحا.

بغداد في ١٤ تموز سنة ١٩٣٧

المخلص
يوسف غنيمة

المقدمة

تلكيف مدينة او بلدة صغيرة في شمال العراق يسكنها الان نحو عشرة آلاف من النفوس. وهي البلدة الوحيدة الباقية من آثار نينوى العظيمة في تلك البقعة. والذين هجروها من سكانها ويعيشون خارج بلدتهم هم اكثر من الذين فيها. وهم منتشرون في مدن العراق وغير العراق، من بلدان العالم. لكنهم لازالوا ينتسبون الى تلكيف حتى الذين هجروها منذ قرن او اكثر فهي مسقط رأس آبائهم واجدادهم. واغلبهم حافظوا على لغتهم (سورث) وهي الآرامية الحديثة، دخلتها كلمات كثيرة من اللغات العربية والكردية والتركية. ولكن اهلها لا يتكلمون الا بها مع اتقانهم لغات اخرى، وخاصة العربية.

ويبلغ عدد الذين ينتسبون الى بلدة تلكيف نفسها نحو ٣٠ الفا وليس هؤلاء فقط كل بقايا نينوى انما هناك قرى عديدة في تلك البقعة اكثر سكانها هم من بقايا الشعب الآشوري. انما اقتصرتُ على تاريخ تلكيف في هذا الكتاب لانها البلدة الوحيدة الخالصة التي تمثل نينوى في بعض التقاليد الموروثة لاهالي تلك المدينة العظيمة، سيما اهلها المنبثون في اقطار العالم اليوم. هؤلاء الذين لا يعرف اكثر المواطنين في العراق شيئا عن بلدتهم وموقعها وشأن المنتسبين اليها. واكثرهم يسكنون في بغداد عاصمة العراق. وبين هؤلاء من يشغلون مراكز مهمة في وظائف الدولة وفي الاعمال الحرة مثل التجارة والصناعة ومنهم من يشغلون مراكز رفيعة في المجتمع. وايضا ليحيط المنتسبون الى تلكيف علما بماضي بلدتهم وحاضرها.

ولما كانت مصادر التاريخ بين يدي قليلة فاني التمس من المطالع عذرا اذا قصرت عن ايفاء الموضوع حقه. فالذي لا يدرك كله لا يترك جله. ومن الله التوفيق.

المؤلف

المؤلف يخدم القداس الأول لولده الاب سرهد
وذلك فوق قبر زعيم الرسل في كاتدرائية مار بطرس العظمى في روما

كلمة عن المؤلف

من روادنا الاعلام:

يوسف هرمز جمّو

هوذا وجـه مشرق من وجوه الاعلام الكلدان الذين كرسـوا جل حياتهم - ان لم يكـن كلها - لخدمة شعبهم ووطنهم بحرص وتجرد ونكران ذات حتى وافاهم الاجل ليكونوا قدوة حسنة لنا وللاجيال القادمة ولكي لا يغيبوا عن ذاكرتنا بعد ان واراهم التراب، اعترافا بجميلهم، طيب الله ثراهم.

وهذا الوجه الكريم هو المرحوم يوسف هرمز جمّو، وهو من اشرق واعطر الوجوه التي انجبتها الامة الكلدانية في عصرنا الراهن. فهو اول من أرخ بلدته الحبيبة «تلكيف» وحدد مكانتها جغرافيا وتاريخيا من مجمل تاريخ العراق في كتابه المأثور «هذا» الذي خلد فيه شتى المأثورات الشعبية والتاريخية والادبية من عادات وتقاليد وطموحات اهالي بلدته الاثيرة عبر العصور. كما انه اول من الف كتابا عن المغتربين الكلدان في العالم الجديد عنوانه «ستة اشهر في اميركا» عرّف فيه الجالية الكلدانية العراقية المغتربة بالوطن الام... هذا الابن البار للشعب الكلداني الذي بدأ حياته ملاحا في السفن «الدوب» التجارية فوق مياه دجلة بين بغداد والبصرة دفعه طموحه الشخصي وعصاميته الفذة ومواهبه الفطرية الى اقتحام الميدان الثقافي فاصبح مربيا فصحافيا فمؤلفا فاستاذا لابناء الامراء، رحمة الله عليه.

سيرة الفقيد مقتبسة من مذكراته الشخصية

ولـد الفقيد في تلكيف في ١٩-٣-١٨٩٢ وادخـل مدرسة القرية فتعلم القراءة والكتابة الكلدانية والعربية. اضطر الى ترك المدرسة وهو في الحادية عشرة ليساعد اباه

في المنزل وفي الحقل. بقي على هذه الحال ٨ سنوات يعمل في الحياكة والحقل.

ملّ هذه الحياة الرتيبة فسافر الى العاصمة بغداد سعيا وراء الرزق. ونظرا لقلة تحصيله لم يوفق الى الحصول على وظيفة فسافر الى البصرة حيث حصل على عمل في مرسى السفن العائد لشركة بريطانية. وقبيل اندلاع الحرب العالمية الاولى نقلت الشركة المذكورة مكاتبها وناقلاتها النهرية من الممتلكات العثمانية الى مدينة المحمرة في الاراضي الايرانية. وعندما احتلت القوات الانكليزية البصرة عاد اليها وعمل ملاحا في الناقلات النهرية (الدوب). واذ كانت الحرب بين الحلفاء وتركيا قد قطعت المواصلات بين البصرة والموصل لم يكن ليعرف شيئا عن مصير اهله.

كان قد وفر بعض مئات من الروبيات (وهو مبلغ محترم في تلك الايام) فانخرط وهو في الثالثة والعشرين من العمر في «مدرسة الامل الاميركية» في البصرة. ونظرا لكبر سنه بالنسبة لبقية الطلاب فقد وضع في الصفوف المتقدمة حيث كان بوسع الطالب المجتهد اجتياز صفين او اكثر في عام واحد. وهكذا بلغ مرحلة التخرج عام ١٩١٨. وفي نهاية هذا العام توفي احد المعلمين فعين معلما مجزأ الوقت من قبل مدير المدرسة المستر جون فانيس اذ كان لايزال طالبا. وعند بدء العام الدراسي لسنة ١٩١٨-١٩١٩ عين معلما كامل الصفة التعليمية.

وفي عام ١٩١٩ اعيدت وسائل المواصلات بين البصرة والموصل فتلقى نبأ وفاة والده واستقدم على الاثر شقيقيه الى البصرة وادخلهما المدرسة. وبعد ذلك بثلاث سنوات تزوج من فتاة من قريته الاثيرة «تلكيف» وهي ماري كريمة مروكي سيسي، كبير ابناء رئيس البلدة منصور سيسي، ثم استقدم بقية افراد عائلته الى البصرة.

بعد ان استقر في البصرة نهائيا اخذ يبحث عن آفاق جديدة فبدأ يكتب. وفي عام ١٩٢٠ اصبح مراسلا لجريدة (العراق) الصادرة في بغداد. وقد نشرت بعض مقالاته مجلة المقتطف القاهرية. وفي عام ١٩٢٤ اسس نادي التهذيب في العشار واصبح سكرتيرا له. وفي عام ١٩٢٥ اسس مطبعة الامة وهي اول مطبعة تؤسس في البصرة وعهد بادارتها الى اصغر اخويه.

في عام ١٩٢٨ عقد ممثلو الطائفتين الكلدانية والسريانية في البصرة اجتماعا

لتأسيس مدرسة اهلية وعين هو اول مدير لها.

خلال الفترة بين عامي ١٩١٩-١٩٣٤ تم عقد عدة اجتماعات ثقافية وسياسية وغيرها في مكتبة التجدد كان يلقي فيها محاضرات في تلك المواضيع. ثم دخل المعترك السياسي بتشجيع وحث من اصدقائه. وقد رشح لعضوية المجلس النيابي ممثلا للاقلية المسيحية الا انه لم يفز بالمقعد بحكم الظروف السياسية يومئذ.

واذ عجز عن تمثيل الشعب المسيحي في البرلمان فقد حصل عام ١٩٣٤ على امتياز لاصدار جريدة يومية سياسية باسم «صوت الشعب». وكان خلال الفترة التي سبقت اصدار الجريدة اي فترة التعليم قد بدأ بتأليف سلسلة من الكتب المدرسية بعنوان (القراءة العراقية) ولكنه لم يطبع سوى الجزء الاول منها بعد ان ترك المدرسة وانشغل في امور الجريدة.

ومن ثم قام بنقل المطبعة الى بغداد ليكون قريبا من احداث الوطن السياسية واخذت الجريدة تشن حملة شعواء ضد الفساد واستغلال النفوذ وتزوير الانتخابات الخ..

بوصفه صحافيا فقد انغمر في تيار الحياة السياسية والاجتماعية وانتخب عضوا في عدد من الجمعيات والنوادي كجمعية الرحمة الكلدانية وجمعية مكافحة الامية وغيرها. وابان الازمة الفلسطينية عام ١٩٣٦ كان العضو المسيحي الوحيد المنتخب في لجنة الدفاع عن فلسطين. وكان في طليعة مؤسسي نادي المشرق عام ١٩٤٦ الذي بقيت الاجتماعات بشأنه تعقد في منزله عدة اشهر الى ان تم ايجاد بقعة مناسبة لبناء النادي عليها وقد انتخب سكرتيرا للهيئة الادارية.

لما كانت «صوت الشعب» من الصحف الجريئة فقد اغلقت مرارا عديدة كما جرت محاولة لاغتياله عام ١٩٣٧. وفي عام ١٩٤١ قام فريق من المتطرفين النازيين بحرق المطبعة. وفي احدى فترات غلق الجريدة الف كتابا اسماه «تاريخ تلكيف»، وكان قبل ذلك قد نشر بعض مؤلفاته في البصرة منها سبع قصص قصيرة وروايتان لشكسبير ترجمهما عن الانكليزية.

في عام ١٩٤٧ توقفت الجريدة عن الصدور بسبب قلة الورق اثناء فترة التقنين ففكر في السفر الى الخارج فشد الرحال الى اوربا ثم الولايات المتحدة حيث امضى ستة اشهر

وعند عودته الى العراق الف كتابا اسماه «ستة اشهر في اميركا».

عام ١٩٤٧ اعاد تأسيس المطبعة واستأنف اصدار الجريدة الا انها مالبثت ان اغلقت من جديد فقرر بيعها وتخصيص ريع ثمنها لولده الاكبر ليتمكن من مواصلة دراسته في جامعة برنستن في اميركا حيث تخرج بدرجة مهندس ميكانيكي. اعاد اصدار الجريدة عام ١٩٥٤ ولكنها اغلقت مجددا ثم الغي امتيازها فتقاعد عن العمل الصحفي وانصرف الى المطالعة والبستنة.

في كانون الاول ١٩٦٤ سافر الى روما لحضور مراسيم رسامة ولده سرهد كاهنا، التي جرت في ١٩ من الشهر المذكور، وقام بخدمة قداسه الاول فوق قبر زعيم الرسل في كاثدرائية مار بطرس العظمى.

هذا موجز لسيرة الفقيد الذاتية وقد نشرت بعض هذه المعلومات في الدليل العراقي الرسمي لعام ١٩٣٦ كما توجد نبذة عنه في موسوعة السيرة العالمية لسنة ١٩٤٦ تحت حقل «اعلام الادب». والذي يبعث على الحزن والاسى ان خاتمة حياة هذا الابن الكلداني البار والوطني الصميم كانت مفجعة اذ لبى نداء ربه بحادث سيارة مشؤوم في ١٨-١١-١٩٦٥ اودى بحياته.

والان بقي دورنا لنقول كلمة مقتضبة بحق الفقيد العزيز علما بان كلمة عابرة لا تفي الرجل الكبير حقه:

لقد عرفت الفقيد وعايشته زمنا غير قصير وكانت تربطني به اكثر من رابطة لعل اهمها رابطة القلم. كان رحمه الله كبير القلب رضي النفس هادئ الطبع قلما تتملكه حالة العصبية. وكان يمتاز بسلاسة الحديث وطلاوة النكتة وسرعة البديهة، وملحه ونكاته الهادئة مضرب الامثال وكانت عيناه تدمعان بنشوة الفرح وهو يضحك. كان يحب الناس ويحبه الناس ويساعد من يستطيع مساعدته. وكان على جانب كبير من الثقافة العامة وراوية ماهرا للاخبار ولاحداث التاريخ وله مكتبة عامرة. زرته مرة في منزله فوجدته لوحده جالسا يطالع في المكتبة فقلت له: اراك وحدك فضحك وقال: الست ترى كل هؤلاء الاصدقاء حولي؟ فقلت واين هم؟ فقال هذا سقراط وذاك افلاطون وذلك نابليون واخذ يسرد اسماء العظماء وهو يشير الى الكتب التي تحمل اسمائهم.. واذا انا اردت سرد

الجوانب المتعددة من هذه الشخصية الفذة لتطلب ذلك مجالا غير هذا المجال المحدود.. لذا اكتفي بهذا القدر الى حين تتهيأ لي الظروف لايفائه حقه كاملا...

وقبل ان اختم هذا البحث لابد من كلمة حق اقولها وهي ان الفقيد ليكفيه فخرا ان يكون ابا لعالم جهبذ مثل الاب سرهد جمو راعي خورنة مار يوسف الكلدانية دون ان نغمط حق بقية اولاده رامز وسامر وسردون وسرمد وكريمتيه السيدة سميرة قرينة الدكتور لطيف سلمان منصور والسيدة سعاد قرينة الاخ العزيز نجيب سيسي المحامي.

يوسف ناظر

سبق وان نشرت هذه الكلمة في مجلة الرواد الصادرة في اميركا بعددها الصادر في تشرين الاول سنة ١٩٨٥م.

المدرسة العالية الاميركية

في البصرة

ليعلم كل من يطلع على هذه الشهادة ان يوسف هرمز جمو قد اكمل في سنة ١٩١٨ سياق الدروس القانونية في منهاج المدرسة مدة ثماني سنوات بعد الابتدائية المعادل للسنة الثانية عشرة من المدارس السلطانية العثمانية وذلك بناء على الرخصتنامة المؤرخة ١١ ايلول ١٣٢٦ الصادرة من مقام ولاية البصرة استنادا الى الفرمان الهمايوني وقد اكتسب بحسن سلوكه رضاء اساتذته . فبناء على ذلك اعطيناه هذه الشهادة .

كتب في مدينة البصرة في ٧ تشرين الاول ١٩٤٠

المعلم المعلم المعلم المعلم المعلم المعلم المعلم المدير

صورة شهادة تخرج المؤلف من المدرسة العالية الامريكية في البصرة

الموصل ٢٢ تشرين الاول ٩٦٦

حضرة الماجد السيد يوسف هرمز المحترم   السلام والبركة بالرب

تلقيت كتابكم رقيم ١٥ الجاري وسررت بشعوركم بخير واطمئنان. اما رغبتكم في ان تكونوا مرشحين منا للنيابة من قبل البطريركية في الدورة الانتخابية الحاضرة: فقد سبق غبطة السيد البطريرك الثاني الطوبى وكتاب وجهه الى رئاسة الوزارة الجليلة بعدم مضادة مطران الموصل قد تم رغبتكم هذه وذلك على اطلاع مني فعليكم ان تسعوا من جهتكم لدى اولي الامر بصورة جدية ومنه تعالى اطلب لكم التوفيق اذ انني اقدر حسن نواياكم.

هذا ومن صميم القلب اتمنى لكم العافية والهناء ولصالح الشعب نجاحا مستمرا محبكم بالمولى

+ المطران يوسف غنيمة

رسالة المعاون البطريركي سيادة المطران مار يوسف غنيمة

الموجهة الى المؤلف بمناسبة ترشيحه للنيابة

المؤلف بين الأطلال

آثار نينوى

أو

تاريخ تلكيف

القسم الاول
الفصل الاول

تاريخ مدينة تلكيف - موقع المدينة - اسم المدينة
مدينة تلكيف قلعة من قلاع نينوى - بعض مستندات
عن تاريخ تلكيف - جغرافية المدينة واراضيها

تاريخ مدينة تلكيف

في سنة ٦١٢ قبل المسيح سقطت نينوى عاصمة مملكة آشور وفي سقوطها تلاشت آخر قوة للشعب الآشوري الذي شيد امبراطورية عظيمة حكمت العالم المعروف في ذلك الزمن مدة ستة قرون. وبعد سقوط نينوى عاصمة الآشوريين قلّما يذكر التاريخ عن ذلك الشعب الباسل الذي كانت فرائص الجبابرة في العالم ترتعد فزعا من مجرد ذكر اسمه، او ذكر اسم الجنود الآشوريين. فقد آلت تلك الامبراطورية الى الدمار واصبح مابقي من آشور عبارة عن ولاية او امة ضمن الامم التي حكمتها الامبراطورية الفارسية، ولم يرد اسم الجنود الآشوريين الا نادرا. وقد ذكرهم هيرودتس في تاريخه عند ذكر الحرب بين الفرس واليونان حينما وصف ابطال آشور الذين حاربوا تحت راية الفرس، بازيائهم المهيبة، واسلحتهم البديعة، وخوذهم الجميلة. وماعدا هذا الخبر الذي جاء عرضا في تاريخ المؤرخ اليوناني لم يرد ذكر الآشوريين في سالف الازمنة. وكان سقوط نينوى امرا عظيما لم يحدث مثله في تاريخ العالم فهو عبارة عن انهيار حصون امبراطورية معظمة تغير بسقوطها وجه البسيطة، واتجه التاريخ على اثرها اتجاها جديدا. وعن هذا الحادث العظيم يشير مؤرخو الغرب ومنهم ڤانيس ماير «ان بسقوط آشور تحولت السيادة من الشرق الى الغرب ومن الشعوب السامية الى الشعوب الآرية». لان سقوط نينوى انما جرى على ايدي الاشكوزيين والكلدانيين وهم ابناء عمومة الآشوريين. وعلى ايدي الماديين خلفاء

الكلدان الذين هم من الجنس الآري، هؤلاء الذين تغلبوا على مملكة بابل فيما بعد ونشروا سيادتهم على الممالك والشعوب التي كانت مملكة آشور تسودها من قبل.

موقع مدينة تلكيف

تقع مدينة تلكيف في المنطقة الشمالية من العراق. وموقعها في خارطة الكرة الارضية في النصف الشمالي من الكرة فوق خط ٣٦ درجة عند الدقيقة ٢٧ وهي شرقي غرينويتش عند الدرجة ٤٣ والدقيقة ١٢. والمدينة في منبسط من الارض تحيط بها ارض مرتفعة من ثلاثة اطراف، من الجنوب والشمال، وهضبة مرتفعة من الشرق. واما من الغرب فتنحدر الارض الى نهر دجلة حيث تصب المياه التي تسيل في واد كائن جنوب غربي المدينة فتتحد بمياه دجلة عند قرية بيسن، فوق مدينة الموصل.

اسم المدينة

المدينة ضاحية من ضواحي نينوى كما سيجئ واسمها مأخوذ بعد ذلك من اسم التل الذي اختطت المدينة بجانبه والتل المذكور حصن قديم شيد ايام دولة آشور، كباقي الحصون التي كانت تشاد دفاعا عن العاصمة نينوى. وهو اصطناعي كانت جوانبه مرصوفة بحجارة ضخمة فسمي تل كيف او «تلكيپا». و «كيپا» بالباء الفارسية بمعنى الحجارة كما يقال تل عفر، اي تل التراب. وتل «يمثه» اي تل البحيرة ونحو ذلك.

مدينة تلكيف

قلعة من قلاع نينوى

اذا وقف الناظر على اطلال سراي ملك نينوى في المحل المدعو الان «قوينجق» ومد

بصره الى المكان المدعو «خورصباد» - دور شركينا سابقا - حيث تجري الحفريات في هذا المكان الذي كان في السابق قصر الملك، فان الناظر يشاهد مابين الموقعين شبه سور عليه تلال او قلاع شيدت محافظة على مدينة نينوى التي كانت تمتد من المكان المذكور الى قرية «معلثايا» قرب دهوك في الشمال. فكانت هذه الضواحي والتلال والحصون ضمن البقعة التي كانت تدعى مدينة نينوى والتي كانت تحوي على نحو مليونين من السكان. وكان الذي يريد ان يدور حول المدينة لا يتمكن من انهاء دورته الا بعد ثلاثة ايام، اذا كان راكبا فرسا. وعلى ذلك اذا كانت قرية نمرود وسلامية، كما يقول العلامة لايارد، عبارة عن محلتين ضمن نينوى[1] فلا يمكن حسبان نينوى الا ان تكون «تلكيف» من مشتملاتها، اي ضمن العاصمة. وكذلك التلال والحصون التي سوف اذكر وصف اكثرها فيما بعد. فمن الصواب ان نسمي هذا التاريخ تاريخ تلكيف لانها البلدة الوحيدة الوريثة لمدينة نينوى العظيمة، كما ان الذين سكنوها من الزمن القديم هم احفاد اولئك الذين شيدوا نينوى فاجتمعوا فيها او تفرقوا منها. وسواء كان هؤلاء في تلكيف او حواليها، فانهم من سلالة اهالي نينوى بلا جدال.

بعض مستندات عن تاريخ تلكيف

جاء في دائرة المعارف البريطانية (انسكلوبيديا بريتانيكا) عن مدينة نينوى -مركز المدينة فقط- «ان طول مساحة المدينة من جهة دجلة كان ميلين ونصف الميل. وطول سورها الشمالي ٧٠٠٠ قدم، والسور الشرقي نحو ثلاثة اميال، والجنوبي ١٠٠٠ قدم. ولو خصصنا لكل نفس من سكانها ٥٠ ياردة مربعة للسكنى لكان عدد سكانها ١٧٥٠٠٠ نفس. اما في وقت الحصار فكانت تتسع لعدد اكثر من هذا بكثير».

وكانت ضواحي المدينة مقسمة الى «قبلو» (احياء) ولكل حي حاكمه، وكان الحاكم على كل قسم من هذه الاقسام يسمى «صكنو» وعلى هذا الاعتبار يقال نينوى العظيمة.

---

(١) نينوى وبقاياها المجلد الثاني ص ٢٤٥

والمساحة التي تمتد الى الشمال وتشمل موقع خورصباد، كان السكان فيها اقل كثافة...
فمما تقدم يستدل على ان تلكيف هي ضاحية او ناحية مشمولة باسم نينوى. لان معنى كلمة «قبلو» حوى او شمل في اللغة الكلدانية الآثورية. وبعد خراب نينوى اطلق هذا الاسم على الضاحية المذكورة فقيل «تلكيف» لوجود التل المبني بالحجارة بجانبها فسميت البلدة باسم التل لانه موجود قبلها.

اما نينوى فقد ورد اسمها في كتابات حمورابي[1] او خمورابي -وفي التوراة يدعى آمر فيل ملك شنعار- وذلك منذ سنة ١٢٨٥ ق.م. ومن المؤكد انها مؤسسة قبل ذلك بزمن طويل.

وجاء في سفر يونان النبي من الكتاب المقدس ان الرب قال له «لقد اشفقت انت على الخروعة التي لم تتعب فيها ولم تربها التي نشأت بنت ليلة. افلا اشفق انا على نينوى المدينة العظيمة التي فيها اكثر من اثنتي عشرة ربوة من اناس لا يعرفون يمينهم من شمالهم».

فالمقصود من كلام الرب ليونان بالذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم، الاطفال الابرياء الذين لا يعرفون الخطيئة. و ١٢ ربوة هي ١٢٠٠٠٠ اذ الربوة الواحدة عشرة آلاف. فاذا كان بين كل عشرة اشخاص طفل لا يعرف الخطيئة يكون عدد سكان نينوى بهذا الاعتبار ١٫٢٠٠٠٠٠ ولكن المؤرخين يقولون ان سكان نينوى كان عددهم مليونين من الانفس. ولا نقدر التسليم بهذا القول الا اذا حسبنا القرى والضواحي المحيطة بمدينة نينوى ضمن المدينة[2]. وايضا ان دخول النبي يونان المدينة التي كانت مساحتها ثلاثة ايام بيوم واحد معناه ان النبي توغل في المدينة مسيرة يوم واحد ثم بدأ انذاره للسكان.

ويقول المؤرخون العرب -البلاذري وابن حوقل وياقوت الحموي- ان الاسم «نينوى» لم يطلق على المدينة الخربة الظاهرة اطلالها اليوم ولكن على الرستاق ايضا، اي ضواحي المدينة، بما فيها الحقول والاكمات الاصطناعية. ويقول المؤرخ الدكتور جيمس هنري

---

(١) والصحيح عمورابي ومعنى الكلمة «الشعب العظيم» (المؤلف).

(٢) هذه القاعدة جارية اليوم في ادخال الضواحي ضمن المدينة عند الاحصاء، كما هي الحالة في لندن وغيرها من المدن العظيمة في العالم.

بريستد عن ملوك نينوى «انهم بناة الصروح الجميلة والقصور الفخمة في نينوى وضواحيها».

وجاء في كتاب «قطف الزهور في تاريخ الدهور» تأليف يوحنا ابكاريوس «ان المدينة (نينوى) كانت كبيرة متسعة حتى لم يكن احد يستطيع ان يدور حولها باقل من ثلاثين ساعة».

واذا اعتبرنا ان مدينة نينوى كانت محاطة بموانع طبيعية لتكون منيعة امام الاعداء، مثل وجود الزاب الكبير في الجنوب ونهري الـ (گومل) والخوصر[1] في الشرق. ودجلة من جهة الغرب، كان لابد من وجود حصون وقلاع وتلال اصطناعية لحمايتها من الشمال مثل تلكيف، وتلال اخرى سنشير اليها فيما بعد، اذ كانت هذه السلسلة من التلول عبارة عن سور اقيم للمحافظة على المدينة من الجانب الغير محصن تحصينا طبيعيا.

جغرافية المدينة واراضيها

تقوم المدينة على ارض شبه منبسطة يقع التل الذي دعيت باسمه في الجانب الشرقي منها، وترتفع المحلات الشمالية عن المحلات الجنوبية قليلا. ويقسم المدينة واد او مسيل ماء، الجانب الجنوبي منه من المباني اصغر من الجانب الشمالي.

واما الاراضي الزراعية التابعة لاهل المدينة فاكثرها مرتفعات ومنخفضات، الا القليل منها من العقار في الجانب الغربي وهي الاراضي المسماة بالتل الصغير و «قبرقير» «وقبة حسين جيري» و «تليلة حابو» و «قره خراب» وفي الجانب الشرقي «التليلات» و «المرج» المحاددة لتل يمثه. ويوجد اراضي مستوية في جهات اخرى لاسيما على ضفاف الاودية اغلبها على الوادي الاحمر ووادي «حنا كچل» وهي اخصب الاراضي

(١) الخوصر كلمة كلدانية معناها احد عشر او الحادي عشر وهواسم هذا الجدول او النهر الصغير عند الآشوريين اذ انه يأتي بالتسلسل بعد عشرة جداول او سواعد تصب في دجلة.

مما تكسبه من الترسبات عند فيضان الوادي.

ومن الاراضي المستوية عقار «علي قوسي» ويقع في جنوب غربي المدينة. اما من حيث التربة فخصبة جدا لو كانت تروى بماء النهر او لو ترتوي كل سنة بماء المطر. والاراضي التي تنبت شجرة الخروب هي اخصب من التي تنبت العاقول. وبعض الاراضي تنبت الادغال ونباتات اخرى متنوعة ذات رائحة عبقة.

منظر عام لبلدة تلكيف

الفصل الثاني

طبيعة الاراضي وخصبها - المعادن في عقار المدينة - متى كان تأسيس مدينة تلكيف - تل كيف والتلول الاخرى الخرائب في عقار تلكيف - الاديرة - آبار المياه حول تلكيف - اثر منطمس - الاماكن الاثرية الكنائس - آثار خالدة

طبيعة الاراضي وخصبها

تختلف تربة الاراضي وخصبها باختلاف الاماكن والجهات ولكن اخصب الاراضي هي المستوية المنبسطة لانها ترتوي بماء المطر اكثر من غيرها. والاراضي التي تُسمَّد فهي طبعا خصبة ايضا. فبعض الاراضي ترابها احمر وبعضها ترابها ابيض من نوع الـ «گيل» ومنها حصباء اي ذات حجارة وحصى. وارداً الاراضي للزراعة «حميديات» والهضبة الحمراء (روما سموقا) ومرتفعات القصور و «طازميري»، وكلها كائنة في جهة الغرب. ولكن من هذه الاراضي مايصلح لنمو الاشجار والكروم. وقد جاء في كتاب ماريا ترازيا اسمر التي عاشت في هذه البقعة منذ قرن وربع قرن «انه كان حول تلكيف كروم واشجار لانواع كثيرة من الاثمار». ومما لاشك فيه ان هذه الاشجار كانت تنمو من دون سقي اي على مطر السماء.

المعادن في عقار تلكيف

في الاراضي العائدة الى اهل المدينة توجد معادن مختلفة اكثرها حجر الكلس والمرمر

او الرخام من النوع الجيد. والمرمر يحرق فيحول الى جص فيستعمل لبناء البيوت. ومقالع المعدن المذكور ظاهرة مكشوفة على وجه الارض. واما الحجر فيوجد منه مقالع ايضا ووجوده اقل من المرمر واغلب المقالع هي على عمق قليل تحت وجه الارض. كذلك يوجد حجر الحلان وهو اقل صلابة من الحجر الاحمر الضارب الى الصفرة. ويوجد نوع آخر هو الحلان الرخو ولونه احمر خلاف الـ (گيل) الذي هو ابيض. والـ (گيل) يستعمل مثل الصابون لغسل الثياب وغسل الرأس وخاصة من قبل النساء فهن يستعملنه لغسل الرأس لانه يلين الشعر.

متى كان تأسيس تلكيف

ان الذي يزور اليوم البقعة التي نقول انها موقع نينوى المدينة العظيمة لا يمكنه الا ان يقول ان تلكيف او قلعة تلكيف هي مؤسسة من يوم توسعت نينوى فشملت هذه البقعة. فالتل الاصطناعي هو من اعمال الآشوريين القدماء كبقية التلال المنبثة هنا وهناك. وبعضها لا يبعد عن البعض الا بضعة كيلومترات فمن تل قوينجق الى خورصابات سلسلة تلال. ومن هذه الاخيرة الى تل يمثه الى تلكيف، الى تل ديوان، الى تل سوريش -غربي تلكيف- سلسلة اخرى من التلال. وعشرات اخرى غير التلال المذكورة كأنها سياج تصد العدو من الدنو. ومنها نستدل على ان تلكيف (القلعة) وماحواليها كانت موجودة قبل المسيح بمئات السنين. والادلة على ذلك موفورة فالتل موجود قبل التاريخ المسيحي، اي منذ وجود مدينة نينوى كما قلنا. وهوقلعة اصطناعية شيدت لحراسة هذه الضاحية المعدودة من احياء مدينة نينوى.

وقد كانت مدينة تلكيف موجودة بعد خراب نينوى واحراقها وذلك عندما مر زينوفون سنة ٤٠١ ق.م. مع العشرة آلاف يوناني لما انسحبوا بعد قتل قوادهم الذين قادوا هذه الحملة لمحاربة داريوس ملك الفرس (وكانوا مأجورين من قبل اخيه زركسيس او ارتحشتا) فقادهم زينوفون، وكان في الجيش المذكور، وهوالذي أرّخ حوادث هذه الحملة. ومنذ نحو ثلاثة قرون ونصف قرن جاء آينسوورث والكولونيل چيسني العالمان

الانكليزيان الى العراق وتتبعا سير الجيش اليوناني عند انسحابه من القتال وتقهقره امام الجيش الفارسي فقالا «ان الجيش مر بتلكيف وهي قرية على قيد ١٢ ميلا او ٤ فراسخ من القرية المدعوة (يارمجه) الواقعة على ضفة دجلة اليسرى في جنوب قرية النبي يونس» ويقول آينسوورث -المتوفى عام ١٦٢٢- «ان القرية تلكيف كانت مأهولة من بقايا الآشوريين. وكانت غنية بمخازن الحبوب حتى ان اهلها قدموا حبوبا وطعاما بكثرة الى الجيش اليوناني المتقهقر الذي انهكه السير ومطاردة العدو له وكان ذلك سنة ٤٠١ قبل المسيح اي قبل حملة الاسكندر باقل من قرن».

والدليل الآخر على وجود تلكيف مأهولة من قرون عديدة ان اهاليها تنصروا، مع الكثيرين من سكان العراق، منذ القرن الاول او الثاني للمسيح وقد كانت هذه القرية مأهولة في القرن التاسع للمسيح عندما مر بها احد الرهبان بينما كان مسافرا من القوش الى الموصل فبات ليلة في تلكيف وذلك كما جاء في قصيدة مكتوبة باللغة الآرامية وهي الان محفوظة في مكتبة دير السيدة في القوش. غير انه مع الاسف ان تاريخ تلكيف عبارة عن سلسلة ضاعت عدة حلقات منها اذ ان كل الدلائل التي لدينا لا تكفي لتوصل بين حلقاتها في الوقت الحاضر.[1]

---

(١) منذ تأليف هذا الكتاب قبل ست وخمسين سنة حتى اليوم خاض الموضوع نفسه باحثون عديدون نذكر منهم في هذا المقام المستشرق الكبير جان فييه (في كتابه «آشور المسيحية» وهو بالفرنسية، المجلد الثاني، ١٩٦٥، ص ٣٥٥-٣٧٦، تلكيف) والعلامة المرحوم كوركيس عواد (في مقالته «تحقيقات بلدانية - تاريخية - اثرية في شرق الموصل»، مجلة سومر، المجلد ١٧، ١٩٦١، ص ٢٤ - ٢٧، تلكيف)، والقس الفاضل ميخائيل ججو بزي (في كتابه «بلدة تلكيف، ماضيها وحاضرها»، ١٩٦٩)، والمهندس النابه حبيب حنونا (في مؤلفه «كنيسة المشرق في سهل نينوى»، ١٩٩١، ص ٤٦ - ٥٧). وعلى قيمة ونفاسة المعلومات التي يقدمها كل منهم، فإن القارئ سرعان ما يتحقق ان مؤلف كتابنا هذا كان رائداً للذين تبعوه في معالجة الموضوع الذي تناوله، وان العديد من نظراته الاساسية لاسيما فيما يخص أصل وتاريخ البلدة لقيت عندهم تثبيتاً وتوضيحاً ومتابعةً. (الناشر).

تل كيف والتلول الاخرى

ان النقوش والرموز والآثار سواء من الكتابات او الرسوم التي تظهر هذه الايام في طيات الارض بواسطة الحفريات والتنقيبات كلها تساعد المؤرخ على وضع تاريخ للاقوام التي عاشت في القرون السابقة السحيقة في القدم. ومن تلك الآثار التلول الموجودة في ضواحي نينوى ومنها تل كيف والتلول الاخرى في تلك الجهات. ففي عقار تلكيف عدة تلول لاشك انها كانت في الماضي قلاعا او حصونا كما قلنا وكانت الغاية من اقامتها الحراسة او لقصد الالتجاء اليها، وقت الحاجة. ويبلغ ارتفاع بعض هذه التلول عن سطح الارض مابين الخمسين والمئة قدم او اكثر حتى ان تل (كيفا) يبلغ من العلو نحو ٦٠ قدما. وقد كان ولا شك ضعفي هذا العلو فانخفض مع مرور الزمن اما بتأثير المطر الذي يجرف من ترابه كل سنة مقدارا كبيرا، او بتهديم البناء الذي كان عليه في السابق. والتلول هذه اينما وجدت في تلك البقعة على هيئة واحدة تقريبا، فشكل كل تل ان يكون قائما من جهة الشمال ومنحدرا من جهة الجنوب. وسبب ذلك تأثير الشمس والمطر والرطوبة التي صارت سبب انحلال البناء من جهة الجنوب وبقاءها على حالتها تقريبا من جهة الشمال.

والتلال التي ضمن عقار تلكيف اليوم هي -عدا تل كيف- تل يمثه او تل البحيرة الذي توجد عين ماء عند حضيضه، ويبعد عن المدينة خمسة كيلومترات من جهة الشرق. وقد كان حصينا حصينا في ارض سهلة شيد بجانب عين ماء جارية. ويبلغ علوه نحو ٨٠ قدما.

وتل ديوان وهو غربي المدينة الى الشمال قليلا ويبعد عن تلكيف نحو كيلومترين. ويزيد ارتفاعه على مئة قدم وفيه آثار عمران قديم. وتل سوريش او سبر يشوع الى جهة الغرب من التل المذكور وعلى بعد نحو كيلومترين منه. وهو بقايا دير او كنيسة لازالت بعض الآثار فيه تدل على ذلك. وتل علي قوسي الى جنوب غربي المدينة وهو تل

اصطناعي كباقي التلال. وبجواره آبار فيها ماء غزير وهو يبعد نحو خمسة كيلومترات من المدينة. والى الغرب من التل المذكور تل آخر يدعى تل سيخورنا وهي كلمة محرفة من «نسروخ» اله الآشوريين وهو في سفح هضبةتشرف على دجلة. وتوجد تلال اخرى غير التي ذكرناها وآثارها لازالت ظاهرة الى الان. ولكن اعجب كل هذه التلال هو تل كيف الذي وجدت فوق قمته بئر منذ سبع واربعين سنة عندما اكتشف هذا البئر رجل كان يحفر قبرا لميت - لان التل الان عبارة عن مقبرة لدفن الموتى- فوجد حجرا كبيرا فلما رفع الحجر ظهرت تحته بئر مياهها غزيرة وعذبة. والظاهر ان هذه البئر كانت تستعمل عند وقوع الحصار على من في القلعة كما كانت العادة في اخذ احتياطات في ذلك الزمن.

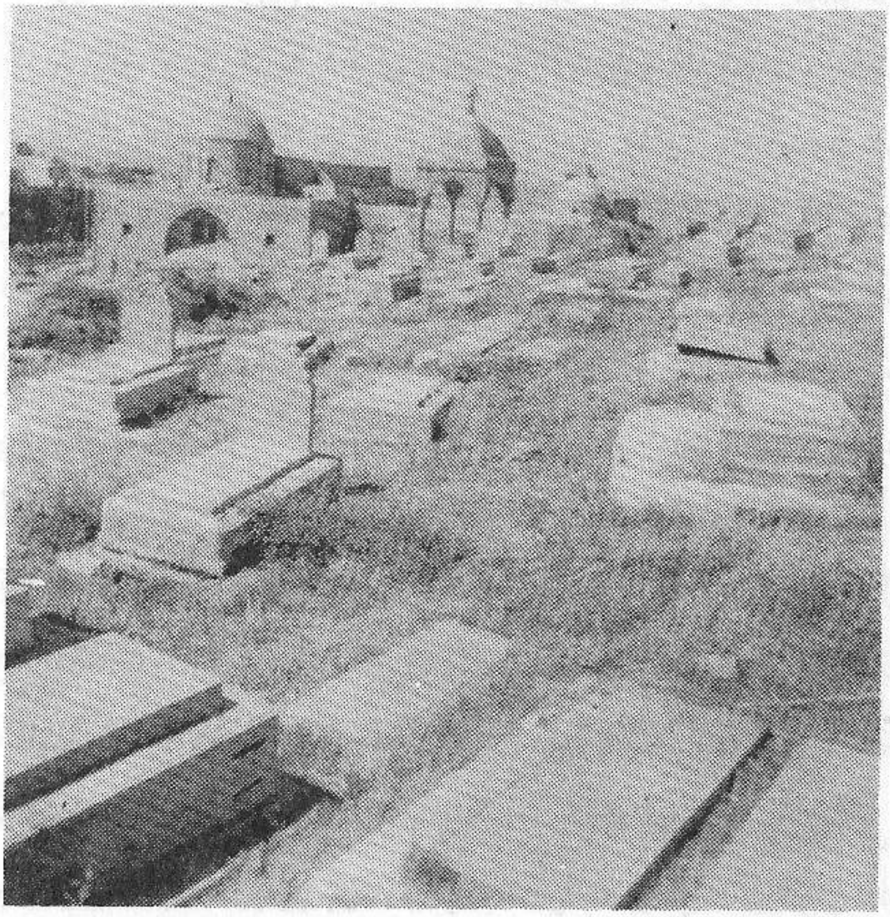

منظر عام لتل تلكيف

الخرائب في عقار تلكيف

في عقار تلكيف خربات عديدة كلها قرى قديمة كانت اكثرها معمورة الى زمن قريب وبعضها قديمة كادت آثارها تنطمس. وقد نقلت حجارة اكثرها لبناء بيوت في تلكيف، سيما التي كانت قريبة منها. وبعض هذه القرى لازالت اساسات دورها ظاهرة فوق وجه الارض. من ذلك خربة بيت عسكر فجميع دورها مبنية بالجص والحجارة اساساتها قائمة الى اليوم وللآن توجد فيها «چالات» وهي مخازن للحبوب مقيرة بالقير وهي شبه آبار في الارض. والخربة المذكورة كائنة غربي المدينة تماما وعلى بعد اربعة كيلومترات منها. والى جهة الغرب من الخربة المذكورة قرية اخرى اسمها «سيف الدين» ويظهر من هذا الاسم انها حديثة العهد وربما شيدت في زمن بني حمدان يوم كانوا يحكمون في الموصل وحلب فسميت باسم الامير سيف الدين. والى جهة الجنوب من الاخيرة خربة اخرى هي قرية «مار عقلا» او «مار عجل» فيها كنيسة كبيرة لازالت اساساتها قائمة الى علو قامة رجل عن الارض. وقد وجدت فيها آثار مسيحية منها طابع او خاتم شمعون الشيخ الموجود في كنيسة تلكيف تطبع فيه الشموع المقدسة. ومن مدة قريبة وجد احدهم قطعة مكتوبة بالخط المسماري في خربة سيف الدين التي مر ذكرها مما يستدل على ان هذه القرية من آثار الآشوريين او ان القطعة التي وجدت فيها كانت منقولة من خرائب اخرى (وقد باع القطعة المذكورة التي وجدها بدنانير قليلة لاحد هواة الآثار القديمة).

وعدا الخربات التي ذكرناها خربات اخرى في عقار تلكيف كادت تعفو آثارها، منها تليلة جنقيات، وتليلة الصغيرة، وتل يمثه او تل البحيرة، وخربة حمودي في درب البالوعة، ودير الاربعين شهيدا، وشاهية، وكوريزن، وخراب كرك، وخربة الزقرق، وتل العنز، وبير قلقاي، وخربة ديوان، وتل ابيض في كورتا، وتل الكعوب، وحميدية، وقبة حسين جيري، وتل الصغير، وخربة وادي حمر، وتل قوسيات، وخربة العالم، وخربة مار دانيال وغيرها من الخربات وكلها طمرت معالمها. وقد كان لجميع هذه القرى ماء وآبار يشرب سكانها منها اذ لا يعقل ان يبني الناس دورا بالجص والحجارة من دون وجود ماء لان مثل هذه

الدور تبنى لمئات السنين وليس لمدة قصيرة.

وقد كانت تلكيف مثل القرى المذكورة المندثرة فعمرت هي واتسعت وخربت تلك. وسبب ذلك اما لكثرة مياه الآبار الموجودة في هذه البقعة (تلكيف) او لانها كانت اكبر واقل عرضة للاعتداءات وسطو اللصوص على اهالي القرى الصغيرة او لشحة الماء وغير ذلك. فهجرت القرى المذكورة الواحدة تلو الاخرى ودخل سكانها الى تلكيف او سافروا الى جهات اخرى. وللاوبئة يد في خراب القرى العامرة ايضا فاذا مات في الوباء بعض رجال القرية او خيرتهم لا يقوى الباقون على البقاء فيها فكانوا اما ينتقلون الى نواحي اخرى او يأتون الى تلكيف. وقد ضمت جميع املاك واراضي القرى المذكورة الى تلكيف بطريق البيع ومنها ظلت لاصحابها الاصليين الذين استوطنوا تلكيف.

الاديــــرة

كانت الاديرة في عهد انتشار المسيحية مبنية بين هذه القرى منها دير الاربعين شهيدا شمال غربي تلكيف كان فيه اربعون قلاية او صومعة لازالت ظاهرة الى اليوم، ولبعض الاسباب، ومنها تعديات اللصوص وقطاع الطرق، ترك سكان الدير والقرية قريتهم وسكنوا في تلكيف وظلوا يفلحون الاراضي العائدة لهم. وتبعد الخربة المذكورة نحو كيلومترين من المدينة ومياه الآبارغزيرة جدا حول الدير المذكور حتى انها تطفح وتسيل في الوادي في بعض ايام السنة. وكان لهذا الدير قرية بجانبه انتقل جميع اهلها الى تلكيف هربا من تعديات اللصوص وقطاع الطرق، وبعد ذلك هجر الدير وخرب.

والدير الثاني هو دير مار دانيال على بعد كيلومتر واحد من تلكيف الى الجنوب الغربي. ودير مارت شموني على بعد كيلومتر واحد شرقي المدينة. ودير مار اوراها شمال شرقي المدينة وهو مصيف غبطة البطريرك فيه كنيسة صغيرة جميلة مر على بنائها ٨٠٠ سنة كأنها مبنية اليوم وفيه عمارات اخرى وكروم من انواع الاثمار وهو على حدود عقار

تلكيف. وربما توجد اديرة اخرى غير التي ذكرناها.

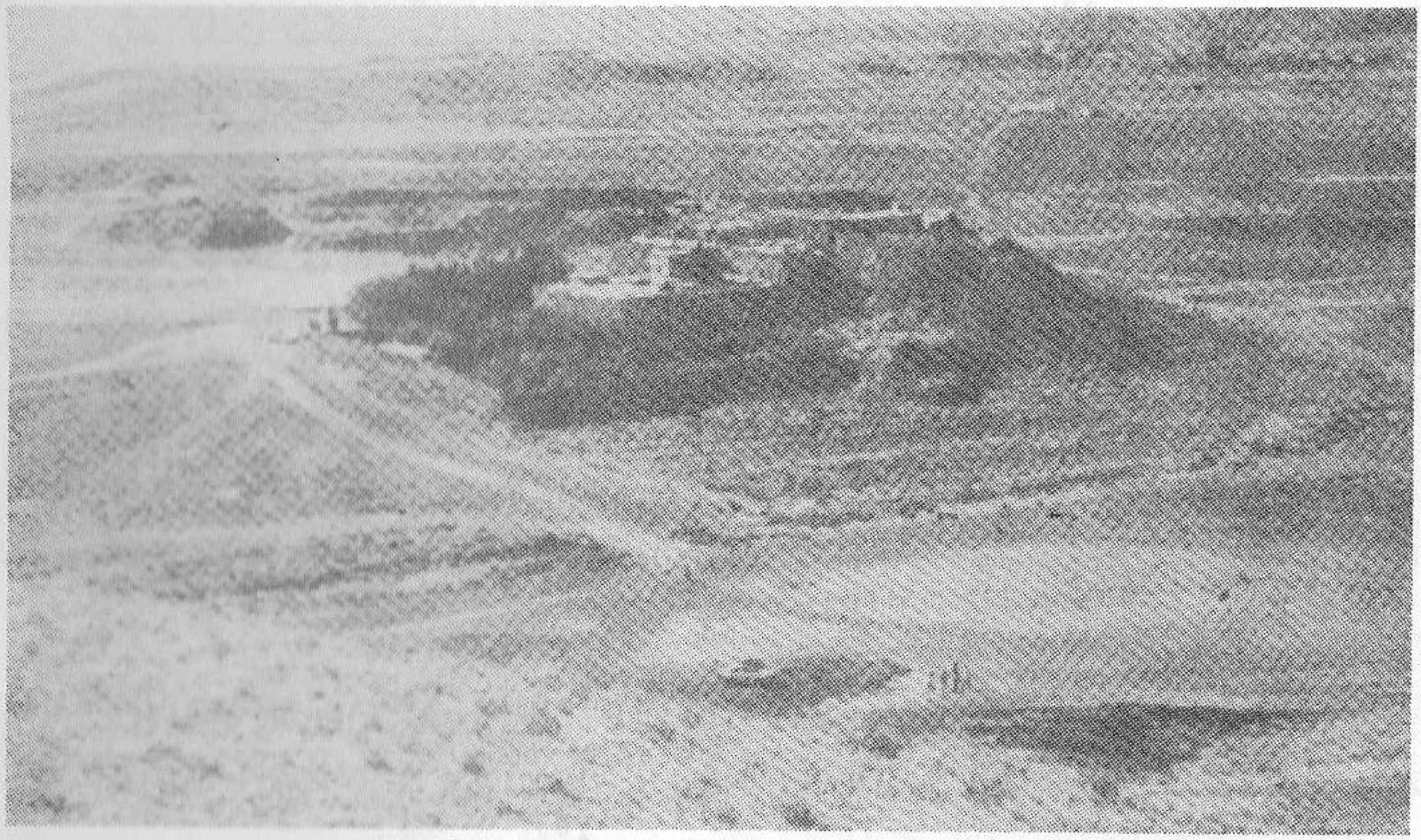

منظر عام لدير مار كوركيس

آبار المياه حول تلكيف

في المدينة وخارج المدينة عشرات الآبار كان منذ زمن قديم يستقي منها السكان. وهذه الآبار تدل على كثرة السكان وحاجتهم الى الماء. فان البئر العظيمة المسماة «بئر بنو» التي هي اعظم الآبار في تلكيف ثم «الهوة» ذات الفوهة الضيقة، والهوة الواسعة الواقعة بينها وبين بئر بنو، كلها قديمة ويرتقي عهدها الى زمن قديم. والآبار الثلاث كائنة بجوار التل وعلى نحو ثلاثمئة متر منه الى الشمال. وفي جهة الغرب من المدينة آبار اخرى اشهرها بئر بيت آل معروف، وبئر بيت آل اسمر و ٢٥ بئرا اخرى كلها في بقعة واحدة مياهها مُرّة تشرب منها الماشية والدواب وتستعمل لشؤون اخرى. واما الاهالي فانهم يشربون عدة شهور من السنة من ماء المطر الذي يخزن في صهاريج او غدران تدعى

عندهم «خبر» والواحدة «خبرة» وهذه تكون في اطراف المدينة في مابين البيادر. كما ان في المحلات والبيوت آباراً اخرى غير هذه منها خاصة ومنها عامة ومنها واقعة بعيدة عن البلدة في العقار، الغاية منها ان ينزل حولها رعاة الاغنام وسكان الخيم لتسميد الارض.

واغزر الآبار مياها هي آبار دير الاربعين شهيدا كما مر. وهناك بئر لا ينضب ماؤها مهما استقى الناس منها هي بئر مار دانيال في مائها مرارة قليلة ولكن يمكن شربه. والبئر عميقة الى حد ٣٢ ذراعا وهي بئر عجيبة ضيقة منقورة في الصخر من فوق الى حد الماء اي الى القعر وماؤها لا يرتفع بل يأتي من جهة ويجري في جهة اخرى. وينفجر هذا الينبوع كانه يجري في انبوب قطره ثلاث بوصات. وحفر مثل هذه البئر يدل على صبر الناس وجلدهم في ذلك الزمن، اذ من يكلف نفسه هذا العناء ان يحفر او ينقر في الحجر الى عمق ٣٢ ذراعا آملا ان يجد الماء لولا تلك الهمم لرجال تلكيف القدماء الذين قاموا بمثل هذه الاعمال الجبارة.

اثر منطمس

في جنوب غربي تلكيف وعلى بعد خمسة كيلومترات تقريبا في العقار المسمى «علي قوسي» في سهل مستو يبلغ مئات الافدنة توجد «خسفة» او مغارة كانت لها فوهة قبل عشرين سنة، محيطها نحو الف قدم من فوق ثم تضيق الى ان تنتهي بشكل مخروطي في الاسفل، وهناك يجد النازل مدخل المغارة حيث كان الرجل يحني رأسه حتى يتمكن من الدخول، فاذا مادخل فانه يجد غارا متسعا يمتد الى مئات من الامتار مسافة وفيه طرقات مظلمة تذهب في جوف الارض افقيا لم يصل احد الى منتهاها، خاصة من جهة الغرب. وعمق الغار من وجه الارض الى مدخل المغارة نحو ١٠٠ قدم وقد كانت فوهة هذا الغار اول امره لا تزيد على فوهة بئر عادية من فوق وقد ابتلع كمية هائلة من التراب تقدر بانقاض مدينة كاملة. اما المكان الذي تسربت اليه هذه الكمية من التراب حتى اتسعت فوهة هذا الغار فلا يدرك عمقه غير الله فهو بئر ضيقة من اعلاه يذهب في الارض عموديا فهو سحيق العمق جدا.

وقصة هذه المغارة او الخسفة تثير الاعجاب. وهي انه في نحو منتصف القرن التاسع عشر كان رجل اسمه شمعون من عائلة بيت يلدو يحرث الارض في تلك الجهة فرأى على بعد منه غبارا ودخانا يتصاعدان من الارض فجاء الى المكان وشاهد شقا في الارض لا تزيد فوهته على باع رجل. ومن ذلك اليوم اخذت الفوهة بالاتساع. ثم بعد ذلك بمدة قليلة جمع رجل اسمه مروكي چپايا كثيراً من الحبال التي وجدها عند الاهالي في تلكيف، فادلاها في البئر المذكورة فلم تصل الى القعر.

واما سبب انسداد هذا الغار واختفاء البئر التي في داخله فهو ان رجلا يملك ارضا بجانب المغارة خاف ان تؤكل ارضه بسبب انهيار التراب الى جوف الغار اي الى البئر التي في داخله فسد مدخل المغارة ومن ذلك الوقت وقف ابتلاع الارض من الجوانب. وسوف يصبح هذا المكان منخفضا مثل المكان القريب من تل يمثه المسمى (دنكس). وربما كان الاخير غارا في سابق الزمان او انه انخفض على اثر هزة ارضية. وكثيرا ماتحدث هزات هناك يكون اشدها حول تل يمثه. وكم من هذه التجاويف تحت وجه الارض. ومنها مااصبح فيما بعد بئرا لخزن الماء مثل «الهوة» في اطراف المدينة التي صارت فيما بعد مخزنا لخزن ماء المطر لايام الصيف. الا ان الغار الذي وصفناه لو بقي مكشوفا لاستفاد منه المواطنون في الالتجاء اليه في وقت الحروب وهربا من الغازات السامة الخانقة.

الاماكن الاثرية

في تلكيف آثار قديمة باقية الى هذا اليوم. ومن هذه الآثار البئر التي فوق قمة التل فقد تكون هذه البئر «كهريز» جُرّ ماؤه من ينبوع او عين ماء تحت ارض. وكذلك تل ديوان فهو قديم ولا بد من وجود آثار قديمة فيه. وليس ذلك فقط بل لا بد من وجود آثار قديمة في قرى اخرى مثل خرائب مار عجلا، وسيف الدين، وخراب العسكر وغيرها.

الكنائس

اما في الوقت الحاضر فاعجب مافي تلكيف كنيستها الجديدة فهي بين اعظم كنائس العراق وربما كنائس الشرق ايضا، واسمها الحديث «كنيسة قلب يسوع» وقد شيدت على انقاض كنيسة مار قرياقوز. اما الكنيسة الثانية فهي كنيسة القديسين بطرس وبولس وهي جميلة ومتوسطة الحجم. والكنيسة الثالثة هي كنيسة مار يوسف في الطرف الشمالي من المدينة.

وحول تلكيف مزارات كانت في السابق كنائس او اديرة بقيت آثارها الى هذا اليوم.

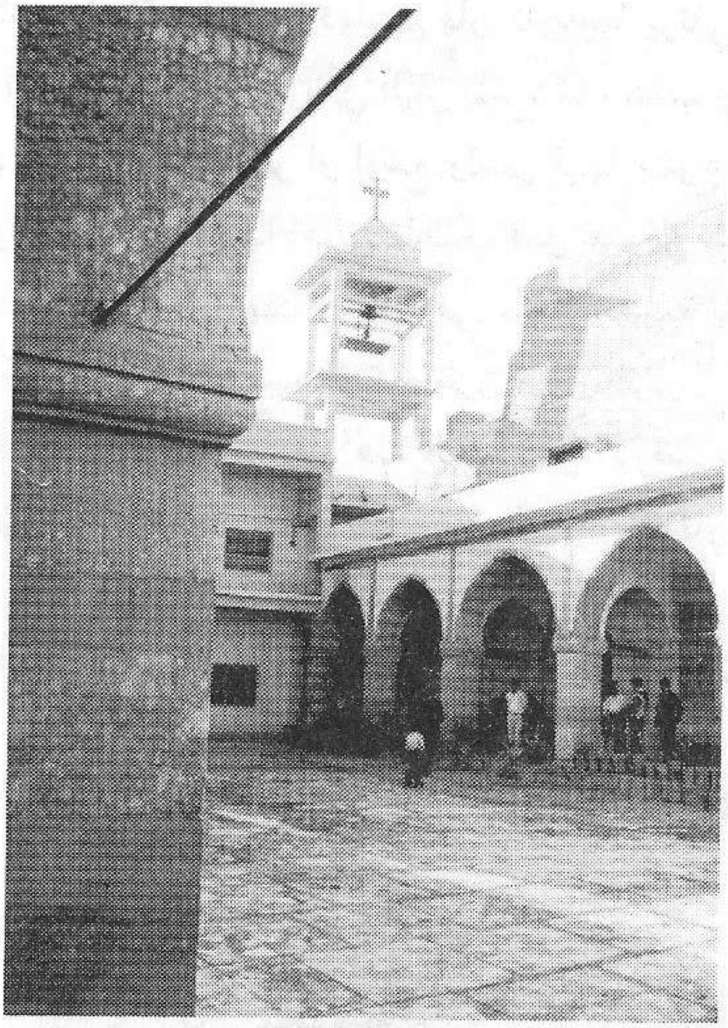

فناء ورواق كنيسة تلكيف

آثار خالدة

وقبل ان اختم هذا الفصل يجدر بي ان اذكر الاعمال الجبارة التي قام بها اسلاف هؤلاء الذين يسكنون في هذه المدينة ومن تلك الاعمال وجود ثلاث آبار عظيمة شرقي المدينة ذكرتها فيما مضى وازيد هنا ايضاحا في وضعها.

١- «بئر بنو» التي يبلغ محيطها نحو ٥٠٠ قدم او اكثر وعمقها نحو ٥٠ ذراعا شيدت لخزن الماء من زمن قديم يمتد الى عدة اجيال وهي مبنية بالحجارة وحدها من دون كلس كما هي الحالة غالبا في إشادة الآبار اليوم. ومن ذلك يظن انه اذا لم يكن حفر هذه البئر من قبل الآشوريين القدماء ابان دولتهم فان تاريخها يرتقي الى عدة قرون دلالة على كثرة سكان المدينة في السابق، وفي البئر ينبوع ماء عذب جدا.

٢- «الهوة الوسيعة» فهي مثل بئر بنو او اوسع وليس فيها ينبوع ماء كما في الاولى. وكانت هذه الاخيرة مطمورة ففتحها اهالي تلكيف قبل عشرين سنة.

٣- «الهوة العميقة» وهي بالاصل كهف طبيعي في صفاة عظيمة نحتتها يد الانسان ثم اقيم له جدار من احد الاطراف واصبحت بئرا لخزن ماء المطر.

ومن الطبيعي ان يعتني الاهالي في هذه البقعة من الارض بحفر الآبار اذ الحاجة القصوى عندهم هي الماء قبل كل شئ. لذلك نرى هنا هذه الآثار الجسيمة الباقية الى هذا اليوم.

٤- الكنيسة الجديدة العظيمة التي استغرق بناؤها ٢٠ سنة. وبلغت نفقات البناء اكثر من ثلاثين الف دينار قام بها اهالي تلكيف وحدهم.

الفصل الثالث

**تلكيف المدينة - تاريخ توسع المدينة الحالية - مصادر التاريخ وغموضه
تسمية تلكيف - سكان تلكيف ونموهم - المساكن
ونوع بنائها - الشغل الاساسي لاهل مدينة تلكيف -
ازياء اهل المدينة - لباس الرجال -
زي النساء ولباس الرأس - الطعام الرئيسي
للسكان**

تلكيف المدينة

اطلقت على تلكيف، البلدة الصغيرة او القرية كما تسمى احيانا، اسم المدينة وان كانت اصطلاحا لا تسمى كذلك. وقد اجزت اطلاق كلمة «المدينة» رجوعا الى القديم اذ كانت كل قرية او بلدة او مدينة صغيرة في السابق تسمى مدينة.. فكانت اما ادارة قائمة بذاتها يحكمها حاكم مستقلا كان او تابعا. او يحكمها رئيس كما جرى الامر في سالف الزمن في تلكيف.

تاريخ توسع المدينة الحالية

اذا كانت المدينة هي هذا الحصن وما يحيط به من الابنية للسكنى، بحيث اذا داهم عدو السكان التجأوا اليه، فان تلكيف كانت موجودة من نحو ثلاثة آلاف سنة. لان وجود الحصن لم يكن الا في بدء ايام الامبراطورية الآشورية وذلك منذ تأسيس نينوى او بعد ذلك بقليل. فكانت الحصون الحالية موجودة حول نينوى من زمن سحيق، ولما خربت نينوى

هجرت تماما وغدت ركاما من الانقاض. واما تلكيف فقد ظلت عامرة. واذا هجرت من سكانها عند سقوط نينوى فقد رجع هؤلاء السكان اليها وجاء غيرهم من اماكن مجاورة فسكنوها وتكاثروا وازدادوا على توالي الايام.

مصادر التاريخ وغموضه

اما مصادر التاريخ في قدم تلكيف فقليلة جدا الا المصادر الاستقرائية والفروض التي بنينا عليها نظريتنا كون تلكيف هي ضاحية من ضواحي نينوى وكون التل المسماة المدينة باسمه قديم وهو من عمل الآشوريين. والمصدر الوحيد الاكثر صراحة الذي عثرت عليه هو كتاب «أناباسيس» لزينوفون حيث يؤكد لنا الذين درسوا سير الحملة اليونانية في العراق وتتبعوا مراحل الجيش في ديار مابين النهرين «ان الجيش سار من قلعة بجانب مسپيلا (الموصل) اربعة فراسخ الى الشمال وهناك جمع له مؤونة وحل بجانب قرية فيها من الغلال شئ كثير». فالقلعة كما يقول المحققون من علماء التاريخ هي قرية «يارمجة» اليوم الواقعة تجاه مسپيلا او الموصل والى الشمال منها القرية او البلدة الصغيرة تلكيف التي هي على بعد تسعة اميال من تل «قوينجق» الى الشمال فالمسافة بين «يارمجة» وتلكيف اربعة فراسخ تماما وهي من المواقع الآشورية القديمة.

اذن فمدينة تلكيف كانت موجودة منذ اربعة قرون قبل المسيح. اما تاريخ تأسيسها فلابد ان يكون قبل التاريخ المذكور بعدة قرون، واما سكانها فمن المؤكد انهم من بقايا الآشوريين الذين دخلوا في حوزة المنتصرين تحت حكم الكلدان اولا ثم تحت حكم الماديين. والدليل على كثرة سكان المدينة وكثرة الغلال فيها تموينهم عشرة آلاف جندي يوناني.

ومما يؤسف له اهمال كتب التاريخ اسم تلكيف فهل كان لهذه البقعة المأهولة اسم آخر ام لم يتميّز اسمها وحدها كونها جزءا من بقايا مدينة نينوى؟ ذلك من المسائل الغامضة في تاريخ هذه المدينة.

تسمية تلكيف

تلكيف كما سبق بمعنى تل الحجارة والكلمة آرامية دلالة على ان الاسم اطلق على هذه المدينة كما اطلقت اسماء آرامية على القرى المحيطة بها. وهناك آثار اخرى لازالت الى اليوم معروفة باسمائها الآرامية وهي اللغة التي حلت محل الآشورية القديمة بين سكان مابين النهرين قبل التاريخ المسيحي.

اما متى سميت هذه البلدة بهذا الاسم فمن الصعب معرفة ذلك، لان الاسم المذكور من المؤكد انه لم يكن الاسم المعروف لهذه الضاحية وربما لم يكن لها اسم خصوصي كما سبق القول. لكن الارجح ان البلدة كانت موجودة ومعروفة بهذا الاسم قبل نينوى الجديدة (قرية النبي يونس) التي اعاد بناءها المسيحيون بعد خراب المدينة القديمة العظيمة وذلك في القرون الاولى من التاريخ المسيحي، لان نينوى كانت مندثرة مندرسة حتى ان زينوفون لما مر بها لم يُعرف موقعها. لكنه ذكر القرى الموجودة في نواحيها.

فيبدو مما مرّ ان تلكيف لم تؤسس من قبل شخص معين مثل كبير عائلة، وانما نسبت البلدة الى أثر ظاهر فيها هو تل الحجارة، فقيل تلكيف، كما قيل تللسقف - تل مصلب اي على هيئة الصليب - وتللعفر ونحو ذلك. وغالبا ماتأتي التسمية من قبل الغرباء اذا نزلوا في ارض اسموها ماشاءوا من عندهم وقد يكون لمدينة واحدة اكثر من اسم واحد يغلب عليها احد الاسماء وتهمل البقية. وربما كان لتلكيف اسم آخر باعتبارها ضاحية من ضواحي نينوى اهمل، وبقي اسمها الحالي.

سكان تلكيف ونموهم

كان يجب ان يزداد سكان تلكيف بالنسبة الى قدم المدينة الا ان اتساعها ونمو سكانها لم يكن طبقا لطول الزمن الذي مر عليها كقاعدة مضطردة بل كان يتأرجح عدد سكانها بين الزيادة والنقصان طبقا للاحوال والظروف التي كانت معرضة لها. فاحد اسباب عدم زيادة

السكان ان قسما من الاهالي كانوا يهجرونها اما الى المدن او كانوا يستوطنون قرى اخرى اذا حصل قحط في تلكيف سنين متوالية او اذا شحت المياه حتى تتعسر الاقامة فيها. وعدا ذلك فالمسيحيون كانوا مضطهدين في تلك الاجيال المظلمة وكان يقتل منهم عدد غير قليل كل سنة من قبل الحكام الوثنيين او من قبل عصابات اللصوص وقطاع الطرق. فكان عليهم اما ان يحتموا بحاكم عادل، اذا وجد، او يتنازعوا البقاء بين جيرانهم والعشائر المحيطة بهم على الدوام.

ومع هجرة الكثيرين من هذه البلدة فقد هاجرت اليها عائلات اخرى من الخارج من القرى والبلدان البعيدة وحتى من المدن مثل بغداد وغيرها اما هربا من الاوبئة او تخلصا من الاضطهاد فان عائلة بيت جمو، مثلا، هي من باشبيتا او «بيت السبي» وقد هاجرت هذه العائلة اولا من بغداد وحلت في باشبيتا شرقي الموصل ثم دخلت تلكيف في اوائل القرن السابع عشر. ومثلها عائلة بيت اسمر. اما عائلة بيت حنا الحكيم فهي من «كونسية» وكذلك عائلة بيت قرياقوزا، التي منها عائلة بيت بشي، وعائلة بيت شمامي من قرية «درگز» وهي قرية في الجبل فوق العمادية، وعائلة بيت يلدا من پيوس، وعائلة بيت اورو الكاتب من سنا في ايران ومثلها عائلة بيت سنوي، وبيت زيباري من زيبار وبيت خرخر من قرية في ايران، وبيت «گرج» من گرجستان في روسيا، والمعتقد ان الآثوريين الموجودين في روسيا هم من آشور او نينوى التجأوا الى تلك الجبال بعد سقوط مملكة آشور. وليس اسم كل عائلة يدل على المكان او المدينة المعروفة. فعائلة بيت رومايا مثلا لا تدل على ان العائلة من رومية او من بلاد الروم، فمعنى «رومايا» عندهم الجندي، اذ كان الجندي التركي او الانضولي عندهم يسمى «رومايا».

وعائلات اخرى غير التي ذكرناها اتت من اماكن اخرى مثل عائلة بيت شنكو التي تفرعت من عائلة اخرى في تكريت. وجميع العائلات التي اتت من الخارج بنت دورها في اطراف المدينة الا عائلة بيت يلدا حيث اشترى عميدهم دارا داخل المحلة. والمحلات القريبة من التل هي اقدم المحلات بدليل عمق الاساسات ووجود التراب الحر (الاحمر) الى عمق عدة اذرع تحت وجه الارض.

المساكن ونوع بنائها

جميع دور المدينة ذات طابقين الا القليل منها وهي مشيدة بالحجارة والجص. فالحجارة تستخرج من المقالع وتوجد حول المدينة او بعيدا عنها قليلا. وتوجد مقالع للمرمر والرخام الجيد. فالمرمر يحرق بالاتون ويحول الى جص يستعمل للبناء. اما النوع الجيد من المرمر فيستعمل في البناء كذلك.

اما نوع بناء الدور فهو غير مستحسن لكنه كان ملائما لعيشة الفلاح في القرون الماضية فان الدار ذات الطابقين يدخل الى منازلها او مخادعها من باب واحد بحيث تكون سلالم البيت منها تؤدي بالداخل الى الطابق الاعلى ومنها الى الطابق الاسفل. ويسمى الطابق الاعلى عندهم «سرداب» اي رأس المنزل والطابق التحتاني «بيكاري» اي بيت الاكار - والاكار بمعنى الفلاح باللغة الآرامية.

والغاية من طراز هذا البناء ان يكون الفلاح في منزله قريبا من مواشيه ودوابه خوفا من اللصوص. وان يتمكن من تفقدها في الليل. لذلك جعل مسكن الناس فوق ومنزل الحيوانات تحت وباب واحدة لخروج ودخول الجميع.

وقد ترك الاهالي منذ ابتداء القرن العشرين نوع البناء القديم حسب مقتضيات الزمن واخذوا يبنون دورهم على الطراز الحديث. ولابد ان يمر زمن طويل الى ان تتجدد كل الابنية القديمة.

الشغل الاساسي لاهل مدينة تلكيف

جميع اهل المدينة تقريبا فلاحون ولكل عائلة دار او اكثر للسكن واراضي في مختلف انحاء عقار المدينة. فالجميع يزرعون ويفلحون، الا ماندر مثل الغرباء الذين ليس لهم ملك. وعدا الفلاحة فقد كانت لهم صنائع اخرى كثيرة لازالت بعضها باقية كالحياكة

قنطرة وزقاق

والنجارة والحدادة والصياغة والمتاجرة والمقايضة، وهي مبادلة الغلة باشياء اخرى.

وعدا ماذكر فاهل المدينة يضربون في الارض سعيا الى الجبال والسهول والقرى والمدن المجاورة والبعيدة يحملون السلع منها واليها. فيتاجرون ويبيعون ويشترون ويجتمعون قوافل يخرج ويدخل المدينة منها بالعشرات كل يوم، يحملون على دوابهم مايمكن المتاجرة به ويدر عليهم الربح.

وكانت الحياكة عندهم احدى الصناعات العامة المنتشرة فكان في تلكيف عدد من الجوم او الانوال يعد بالمئات فكان النسج من المهن الشائعة، ولكن بعد الحرب العظمى كسد سوق الحياكة وبطلت تجارة الخام الذي كان يحمل من تلكيف الى تركيا وايران ومناطق بعيدة في الجبال. وقد سدت تلك الابواب من ذلك الحين. والضربة الاخرى التي اصابت صناعة النسيج البلدي في السنين المتأخرة، كان ميل الناس الى استعمال الخام الاجنبي وهو القماش الظريف الزاهي النظيف والرخيص الثمن. زد على ذلك رغبة الناس في الازياء الجديدة وتحولهم عن الازياء القديمة الخشنة.

ولم يبق في تلكيف الا الصناعات الضرورية التي يحتاج اليها السكان مثل النجارة والحدادة وما اليها من الصناعات المحلية التي يحتاج اليها لصنع ادوات الزراعة لهم ولاهالي القرى المحيطة بهم من جيرانهم.

ازياء اهل المدينة

قبل ان تتطور المواصلات الى ماهي عليه الان وقبل ان يختلط اهل الامصار والمدن وتكثر الاسفار من قبل الافراد والجماعات كانت سابقا المدن والقرى بعيدة عن بعضها بسبب نوع وسائط المواصلات. وكان سكان كل قرية او مدينة يمتازون عن غيرهم من القرى او المدن الاخرى بازيائهم ولباسهم. وكان المرء يعرف من لباسه فيقال هذا الرجل او هذه المرأة من القرية الفلانية باطناوي مثلا، او تلسقفي او القوشي او يزيدي او كردي او بدوي. فكان اهل تلكيف يمتازون بزيهم ايضا لاسيما النساء ولازلن يمتزن بزيهن عن جميع سكان الكرة الارضية بلباسهن الممتاز الذي لا يستعمل الا في تلكيف. وقد يوجد في هذه

القرية او في تلك من الرجال من يلبس مثل مايلبس الرجال في تلكيف. واما لبس النساء فلا يشبهه لبس نساء امة اخرى من جميع امم العالم.

لباس الرجال

اذا ضربنا صفحا عن ذكر نوع اللباس الذي يستعمله بعض اهل مدينة تلكيف بعد ان تكيف زيهم بالازياء الغريبة على اثر الهجرة الى المدن الاخرى واختلاطهم مع الاقوام الاخرى فان نوع اللباس للرجال في تلكيف كاد يكون واحدا للجميع. واللباس عند كل امة يكون مايلائم طرز معيشتها واعمالها. فالبدوي الذي يسكن في بيت من الشعر، حيث الارض مستوية وحيث لا يوجد سلم يصعد منه او ينزل الى مداخل منزله فالثياب الفضفاضة تناسب معيشته اكثر من غيرها، فلا تعيقه عن الجلوس والقيام. اما الذي يسكن في دار ذات اكثر من طابق، يدخل الى منازلها صاعدا او نازلا على السلالم فلابد ان يكون اللباس من النوع الذي يساعد على الصعود او النزول فكان هذا السروال الذي يستعمله الاوربيون. فمنشأ السروال او «البنطلون» الاوربي هو السروال الذي استعمله اهل تلكيف منذ آلاف السنين ويستعمله كذلك اهل الجبل، الاكراد والآثوريون واهل القوش وغيرهم. فكانت ملابس الرجال عند اهل تلكيف عبارة عن ثياب داخلية تتألف من قميص تشبه كتونة الآثوريين القدماء، وسروال داخلي، وهما من الكتان، ويلبس الرجل فوق هذه «شالية» وهي على هيئة القباء الروماني وتكون من الصوف الابيض. وقد تصبغ بالصبغ النيلي وتكون مفتوحة من الامام وطويلة تنزل الى القدمين. ويلبسون فوق الكل «دراعة» من نسيج الصوف الصفيق النسج قصيرة بلا اردان تنزل الى الوسط. او يلبسون «كزاخة» وهي مثل الدراعة لكنها ذات اردان وتنزل قليلا عن حد الوسط من القامة. والرجل في اوقات العمل غالبا مايلبس السروال الذي تكلمنا عنه وهو عبارة عن البنطلون الاوربي لكنه اعرض من فوق بحيث يساعد لابسه على الجلوس على الارض بسهولة. ويلبسون بارجلهم الحذاء او «الكلاش» كما يسمونه، بلا جوارب الا ايام الشتاء اذا اشتد البرد او سقط الثلج فانهم يلبسون الجوارب المنسوجة من الصوف.

واما لباس الرأس فيتألف من قطعتين وهما «الكلوتة» المنسوجة من وبر الابل،

وعصابة تلف فوقها وتدعى «اليشماغ». وقد كان اهل المدينة يلبسون العمائم مثل العرب او مثل الفرس او عظماء الاكراد اليوم. وقد استعمل اليشماغ في الربع الاخير من القرن الماضي. ولباس الرأس المذكور ملائم جدا لنوع اشغالهم في الصيف والشتاء اذ الكلوتة ذات اللبدة الوبرية تمنع الحرارة والبرودة عن الرأس فيحتفظ بحالته الطبيعية ويحفظ اليشماغ اهم قسم من الوجه كما يشاء لابسه.

وهناك نوع من العباءة تُرك استعمالها منذ ثلاثين سنة فكانت العباءة ذات اردان وسيعة جدا تنزل الى الركبة وكانت من الصوف صفيقة النسج متينة لا يخترقها الماء.

وكان لهم نوع من الاردية اهمل ايضا من زمن قريب وهو «البتية» التي كانت تلقى على الاكتاف، بيضاء ناصعة ذات اردان عريضة طويلة. وكانت اقصر قليلا من العباءة جميلة جدا، اجمل من المعطف الروماني او الافرنسي في القرون السابقة. ولا ادري السبب في اهمال لبس البتية فهي تناسب ان تلبس فوق الثياب لو قصد بها الزينة.

وعدا ماذكر فهناك نوع آخر من الاردية هو الفروة، ولازالت تلبس في ايام البرد الشديد. وربما لبسوها مزدوجة، اي داخل العباءة الحديثة الخفيفة.

زي النساء ولباس الرأس

يمتاز زي النساء في تلكيف عن ازياء جميع سكان المعمورة. كما انه اقدم لباس حافظ عليه اهل المدينة مدة آلاف السنين. فان الالوان التي تتألف منها بدلات النساء لمن اجمل وابهى وازهى لباس في العالم وليس ذلك فقط ولكن يوجد فارق ايضا بين لباس المتزوجة والعذراء. فالعذارى يلبسن ثوبا ينزل الى القدمين وفوقه قباء مفتوح من الامام بحيث لا تصل طرفاه الى بعضهما وتشد الشابة نطاقا او كمرا فوق الكل ثم تلبس المئزر الذي يستر المرأة من الظهر. والاوانس يشددن منديلا حريريا فوق الرأس ويرسلن الشعر طويلا تنتهي اطرافه بجدائل من فضة او ذهب او ضفائر من خيوط حريرية منفوشة رؤوسها. وبالجملة فان لباس العذارى بسيط بالنسبة الى لباس المتزوجات. فان المرأة المتزوجة تمتاز عن العذراء بوضع قبع على رأسها من يوم الزواج وهذا القبع عبارة عن

مختلف ازياء النساء في تلكيف

«طاقية» صفت على حواشيها قطع ذهبية فوق الجبين من ذات الدينار او اكبر وتشد المرأة مقرمة او مناديل حريرية فوق تلك الطاقية.

واصل القبع تاج كانت ملكات آشور يلبسنه في القديم فاتخذ الان للمرأة المتزوجة دون العذراء التي لا يجوز ان تضعه على رأسها قبل ان تتزوج. والقبع المذكور آنفا او التاج الملوكي الذي اقتبسته نساء تلكيف المتزوجات عن جداتهن القديمات تزين اطرافه بالحجارة الكريمة من فيروز وعقيق ومرجان وخرز ثمينة ذهبية وفضية وغير ذلك. وشكل هذا التاج موجود في المتحف العراقي. ويمر تحت الحنك امام الاذن الواحدة الى امام الاذن الاخرى خرز من ذهب منظومة بخيط منفرد او خيطين مزدوجين. وعدا ماذكر فالمرأة تلبس قلائد من قطع ذهبية او فضية وعلى الاغلب تكون ذهبية والبعض يلبسن طوقا من فضة او ذهب او «گردان» من ذهب ونطاق من فضة هو الكمر واساور من ذهب او فضة وخواتم، ويعلقن الاقراط في آذانهن والبعض يلبسن «خزامة» في الانف. ولا فرق في لبس المصوغات بين العذراء والمتزوجة الا في ما له علاقة في القبع. واكثر نفقات الزواج عندهم تصرف بهذه الطريقة، اي بتجميل القبع. وقد قال رجل انكليزي، وهو مؤلف كتاب «الاقليات في الموصل»، رأى العرائس في تلكيف: «ان النساء في تلكيف يشبهن بزيهن الجميل حديقة من الورود والازهار».

اللون

ان لون البشرة لسكان تلكيف يشبه لون الحنطة ضاربا الى البياض او يكون اشقر. وعيونهم سوداء والبعض زرقاء. ويغلب عليهم الانف اليوناني. ويستوي الجمال بين النساء والرجال. وفي النساء حسن غير مصطنع، يغلب على جمال الرجال. ولا يخلو مجتمعهم من بعض الافراد من قبيحي الصورة او دميمي الخلقة. وربما كان هؤلاء من نسل الاسرى او الارقاء الذين كانوا في نينوى جيء بهم من اقطار بعيدة وشعوب غريبة.

طعامهم الرئيسي

الحنطة هي اساس اكثر الاطعمة التي يتناولها سكان تلكيف فمنها يصنعون البرغل والحنطية او الحبية، والخبز والكعك والكليجة، والرشتة والكبة وما الى ذلك من تنوع الاطعمة التي اساسها جميعا الحنطة. واما الاطعمة الاخرى كالرز فقليلة التناول الا ان استعماله اخيرا اخذ يعم منذ ان كثرت اسفار ابناء البلدة الى الخارج حتى تعود البعض عليه.

وبعد الحنطة فانهم يستعملون العدس والباقلاء والحمص وغير ماذكر.

واما الخبز فهو عندهم «الحوارا» والارغفة المفتوحة الرقيقة ويدعى عند اهل المدن في العراق «الخبز الرقاق». وقد تعلم اهل الموصل صنع الخبز بهذا الشكل من اهل مدينة تلكيف.

عملية اعداد خبز الرقاق

والاشياء التي ذكرناها التي يصنع منها طعام اهل المدينة، هي من غلال مزروعاتهم مثل الحنطة والعدس والباقلاء والحمص الا الرز الذي لا يزرع الا في الاراضي السقي التي تروى من ماء العيون او الانهر. اما مزروعات تلكيف فكلها تزرع على الديم اي على المطر. واحيانا يزرعون المخضرات على ماء عين تل يمثه ولكن الاراضي الواقعة حول العين المذكورة هي ملك عائلة واحدة معروفة (هي عائلة سيسي). وقد ظهرت بئر غزيرة الماء شمال تل يمثه غرست حولها اشجار مثمرة وتزرع على مياهها بعض المخضرات.

اما اللحوم المستعملة في طعامهم فهي اللحوم العادية الا انهم يستعملون لحوم الطيور ايام الخريف والشتاء، خاصة القطا، ونوعا من العصافير يسمى «قوشين» وغيرها من طيور البر التي يصيدونها بالشباك والفخاخ في الحقل. وهم يتناولون اكلهم ثلاث وجبات في النهار، وجبة الصباح. ووجبة الظهر، غير مطبوختين في اغلب ايام السنة. اما وجبة العشاء فهي مطبوخة. والعشاء اهم وجبات الاكل عندهم. واما في ايام الحصاد فانهم يقدمون الطعام للفعلة اربع مرات. وشرب الشاي نادرا مايعرف بينهم، وهم لا يستعملونه الا في ايام الشتاء في السنين الاخيرة.

النظافة

مع قلة المياه وشحتها فان اهالي البلدة يعتنون عناية فائقة بالنظافة حتى يمكن ان يقال ان جميع اهالي تلكيف يستحمون ولو مرة بالاسبوع، خاصة النساء والاطفال. الا انه، مع ميل الناس الى النظافة، فان الواسطة الاولى للنظافة وهو الماء، معدومة عندهم. فاذا كانت النظافة تتناول مظاهر البلدة فحالتها سيئة اذ يوجد فيها الذباب بكثرة.

الفصل الرابع

بعض اخبار رجال تلكيف - بعض ابطال تلكيف والقصص التي تحاك حولهم - شابوصنايا - العم عيسى - مروكي قاشات حنان علوسي - حنان حوير - شعوني شذايا وغيرهم
رؤساء تلكيف
يوسف دخو، كوريا جابرو،
منصور سيسي الخ.

اخبار الرجال

لكل جيل من الناس حوادث واخبار منها مكتوبة ومنها منقولة ومنها آثار تدل على حوادث معينة. ومع مزيد الاسف فان مدينة صغيرة مثل تلكيف التي ليست بالحقيقة الا قرية كبيرة، يصعب على المؤرخ اثبات الاخبار عنها سيما اخبار القرون البعيدة عن زماننا هذا. اذ لم يكن تدوين الحوادث في مثل هكذا محيط سهلا. ولم يكن يوجد من يبذل عناية كافية لجمع الاخبار. وقد عني رجال الدين في تدوين بعض الحوادث ولكن تلك الحوادث لا تخرج عن ان تكون سجلا لاعمال بعض القديسين واستشهاد المؤمنين. فهذه كانت كل عنايتهم. ولا نستبعد عدم التفات القوم الى المسائل الدنيوية، فان الاضطهادات الدينية في تلك القرون المظلمة صرفت افكارهم عن الدنيا وكان كل همهم ان يستعيضوا عما خسروه على ايدي ظالميهم من ابناء هذا العالم، بما فيه من خيرات دنيوية، بالنعم الالهية والخيرات السماوية في العالم الآتي. فاقتصروا اهتمامهم على حياة الآخرة، وعنوا عناية فائقة بتدوين سير الشهداء وما وقع لهم من الحوادث مع الظالمين حكام ذلك العصر، وماقاسوه من الآلام والعذابات في سبيل الدين.

فالطقس الكلداني وكتب الصلاة جميعها عبارة عن صلوات وادعية مقدمة الى العزة

الالهية لتنجي الشعب المسيحي من الظالمين او لغفران الخطايا -خطاياهم وخطايا مضطهديهم- طبقا لتعاليم سيدهم (المسيح) الذي اوصى اتباعه ليحبوا اعداءهم، وان يحسنوا الى الذين يسيئون اليهم.

فمما تقدم يعرف المطالع كيف كانت افكار اهل ذلك الزمن. ولذلك فقدت عنا معرفة اكثر الحوادث وضاعت مستندات كثيرة لعدم استقرار الاحوال ولان اصحابها «كانوا يهربون من مدينة الى مدينة اخرى»، وهكذا قل عن الحوادث التي جرت على اهالي هذه المدينة (تلكيف) الا ماتناقلته الالسن او كتب ببساطة في القرون الاخيرة. وهنا نورد بعض الحوادث وسيرة بعض الرجال كما وصلت الينا بالطريقة المذكورة، اي طريقة النقل والرواية.

بعض ابطال تلكيف

والقصص التي تحاك حولهم

قبل ان ادخل في الموضوع في ذكر شئ عن الحوادث وسير بعض الرجال الفت نظر المطالع الى وضع هذه (القرية) الكائنة في منخفض من الارض ليس فيها لا نهر ولا كرم او بستان ولا عين ماء، فاهلها يشربون الماء المر اكثر ايام السنة، وهم محاطون اما بقرى صغيرة بعيدة او بعشائر مقيمة او راحلة وحولهم اهل الخيم الذين ينزلون مع مواشيهم للمرعى في اراضي تلكيف بعد الحصاد.

فمن اولئك الابطال الذين تضرب بهم الامثال الى اليوم بين اهل مدينة تلكيف، هرمز شاپوصنايا، فهو (عنتر) اهل تلكيف بلا نزاع تنسج حول اسمه حكايات عديدة في اعمال البطولة فيها مبالغات كبيرة شأن كل الرجال الذين قدم عهدهم وقد يكون بعض الصحة في اخبار شاپوصنايا ولكن اكثرها مبالغ فيها او ربما نسبت حكايات عديدة اليه قام بها غيره. لكن الذي لاشك فيه انه كان رجلا قويا وبطلا صنديدا شجاعا. وعلى مايروي الرواة انه عاش الى اواخر القرن الثامن عشر. وقد اشتهر شاپوصنايا منذ صغره بالشجاعة والاقدام

فذاع صيته في القرى المجاورة حتى ان الامهات كن يخوفن اطفالهن باسمه.

فمن احدى حوادثه الدالة على فروسيته ايضا ان بعض قطاع الطرق اغاروا على مواشي تلكيف فساقوا امامهم قطيعا او صوارا من البقر فخرج اهالي تلكيف في طلب حلالهم وفي المقدمة شاپوصنايا راكبا فرسه البيضاء المسماة «صلانيثا» اي السنونو او الخطاف وكان عدد الغزاة، كما يروى، ٤٠ خيالا فجرت بينهم وبينه معركة شديدة في محل يسمى (القيراج) في مكان يشرف على دجلة غربي تلكيف فتمكن شاپوصنايا من كسرهم واسترجاع السلب منهم بعد قتل زعيمهم المدعو «حلب» وقد اصيب شاپوصنايا بجروح كثيرة لكنه شفي منها بعدئذ . فهذه احدى الحوادث التي يؤكد الرواة صحتها اكتفينا بايرادها هنا وضربنا صفحا عن عشرات الحوادث التي تحكى عن شاپوصنايا.

ولم يخلف هذا البطل نسلا ذكورا فقد كانت له ابنة وحيدة هي ام شمعون كلشو رأس العائلة المعروفة في تلكيف.

اننا نتكلم عن البطولة يوم كان السلاح السيف والرمح والحربة والعصا اي قبل شيوع استعمال البارودية او البندقية والطبنجة. اذ بعد ظهور السلاح الحديث تساوى الصبي مع البطل العنيد والجبان بالشجاع. فالبطولة قبل هذه المخترعات كانت القوة البدنية مقرونة بالشجاعة.

فمن اولئك الابطال ايضا العم عيسى من المحلة التحتانية الذي عاش الى مابعد منتصف القرن السابق فكان المذكور اذا نازل خمسة او عشرة من الرجال كأنه ينازل انعاما فيسوقهم امامه سوق الاغنام واذا صادف ان امسك سارقا او لصا كان يزج به في الاتون حتى خافه اللصوص والسراق وهابه البعيد والقريب. وكان اذا ذكّرت امرأة زوجها بانه نسي ان يغلق باب الدار قال لها «نامي واطمئني فمادام العم عيسى في المحلة فلا خوف علينا».

ومن المحاربين المشهورين حنان علوسي من بيت جمو فقد اشتهر بالشجاعة وخفة الحركة وكان، اذا اراد، يقفز فوق رجل وهو يمشي فيعلو فوق رأسه بقوة خارقة العادة عدا تلك الشجاعة التي كان موصوفا بها في القتال. وقد اشتهر هذا البطل في حرب «تلمثا» مع جرجوسي الموصلي ومنصور زيتو –وكان الاخير من الابطال المعدودين مع حلم

وتواضع- فقد قابل هؤلاء الثلاثة اكثر من ثلاثين رجلا من العجم اصحاب قافلة كانت تمر في سكة تلمشا فجرت معركة شديدة بين اصحاب القافلة والثلاثة المذكورين الذين كانت لهم خضرة مزروعة على ماء تلمشا. وطالت المعركة عدة ساعات في الليل الى ان سقط اكثر رجال القافلة واستولى هؤلاء الثلاثة على اموالهم البالغة عشرات البغال محملة اموالا ثمينة. وهزموا من بقي من الرجال بعد ان اثخنوهم بالجراح. وكان ذلك حول سنة ١٨٦٠ ميلادية.

ومن الابطال المتأخرين حنان حوير الذي زادت شهرته على اعماله البطولية فقد كان رجلا مديد القامة بلغ التسعين من العمر ولم ينحن ظهره. وكان طول قامته اكثر من مترين عاش الى سنة ١٩٠٨ ميلادية.

كان حنان ذا سطوة وشهرة يهابه رجال السيف واهل القتال. لم يذكر عنه انه ولى ظهره امام عشرة او عشرين او ثلاثين رجلا. وقضى اكثر ايام حياته في الصيد او في العقار منفردا بين الزروع في الجهة المسماة «خراب كرك» فكان العرب اذا دنوا من تلك البقعة يقولون «هذا درب حنان» فلا يجرأون من الاقتراب من الاراضي التي كان يحميها حنان حوير.

ونترك عدة معارك بينه وبين الخصوم وانتصاراته في كل مرة على اي فريق قلّ او كثر افراده اذا نازل حنان حوير. واذكر هنا حادثة واحدة تدل على بطولة حنان حوير وقوة جنانه ذلك انه كان يوما من ايام الشتاء وحده في العقار فصادفه قطيع من الذئاب عدده ستة وهجمت عليه محاولة افتراسه من شدة الجوع. فجرد حنان سيفه وضرب اول ذئب وثب عليه فشطره الى شطرين واخذت الذئاب الخمسة الباقية تفترس الذئب المقتول. ونجا حنان بنفسه بعد ان اشغلها بافتراس رفيقها.

ومن الرجال الاشداء مروگي قاشات من المحلة التحتانية كان من صناديد الرجال ذا همة وبأس شديدين فكان صوته يلقي الرعب في قلوب الاعداء وكان اذا امسك خصمه يشد عليه فيقض عظامه.

ومن الابطال المتأخرين ايضا شعوني من بيت شذايا كان هذا الرجل اشجع من حنان حوير ولكن الاول كانت له شهرة اوسع. فكان شعوني لا يهاب الموت ولا يخشى الاعداء

ولو كانوا مئة رجل. وقد قضى معظم ايامه في الحقل وفي الصيد ولا يذكر عنه انه انهزم امام العدو مهما كان عدده وقد قاتل في معارك كثيرة مع رفاقه او منفردا فكان متفوقا على خصومه وكان سريعا في ركضه كالشنفرى بين العرب. وكان قويا اذا ضرب ثورا بجمعة يده لابد ان يكسر عظامه واذا انهال بعصاة على خصمه لابد ان يحطمه.

واعلم ان الذين ذكرتهم هنا ليسوا جميع الابطال الذين نشأوا في تلكيف وربما يوجد بين الذين لم يشتهروا افضل من الذين ذكروا هنا واشجع منهم فاما طوي عهدهم او لم تصلنا اخبارهم. وقد قام في تلكيف غير المذكورين آنفا بين المتقدمين والمتأخرين من يعدون بالمئات اكتفيت بمن ذكرت اذ لا يسع هذا المقام ذكر الجميع وذكر حوادثهم. واعلم ايضا ان اهالي تلكيف لم يكونوا يحسبون كل قوي شجاعا بطلا، اذا كان يظهر قوته بين ابناء بلدته او يتسلط على اهله وجيرانه. بل البطل عندهم من يدفع الاذى عنهم ويحارب المعتدين عليهم والمتجاوزين على اموالهم وريعهم وانفسهم.

والخلاصة كانت تلكيف، مثل اسبارطة في بلاد اليونان، يمارس اهلها القتال مع العصابات وقطاع الطرق الذين كانوا يسطون على اموالهم. واخص الاماكن التي كانت تقع فيها المصادمات هو محل يدعى «سوق الغزل» واقع على بعد مسيرة ساعة جنوبي تلكيف في طريق الموصل. فهو شبه واد عريض كانت عصابات اللصوص تسلب القوافل فيه وتغير على المارة وعابري السبيل، اذا آنست ضعفا في رجال القافلة. وقد قل شأن الشجاعة والقتال في القرن الاخير وتحاشى اخيرا اهل تلكيف النزاع لسبب تجوالهم وسفراتهم قوافل وافرادا الى الخارج في سبيل الرزق ومبادلة التجارة او الحاصلات. فلم يريدوا ان يجعلوا لهم اعداءً في الخارج حذرا من الغدر وتجنبا من اخذ الثأر. كما ان الحكومة بعد تبدل الحالة في الحكم الوطني تبذل الجهد للمحافظة على الامن والمحافظة على ارواح الناس واموالهم. وتحولت افكار الناس الى الكفاح الشريف في ابواب الرزق المتعددة.

الرئاسة في تلكيف

في الفترة التي نشب فيها الخلاف العقائدي في تلكيف اي ايام «بوللا وبردي» كان الاهتمام بالامور الدينية اكثر من الامور الدنيوية فكانت الكلمة الاولى لرجال الدين لا لرجال الامور الدنيوية، فكان في تلكيف خوري مع ١٢ قسيسا ورئيس شمامسة مع اثني عشر شماسا طبقا لعدد رسل المسيح الاثني عشر وعدد الرسل في المرتبة الثانية اثنان وسبعون.

اما قبل تلك الفترة وبعدها فقد كان شأن الرئاسة اعظم واخطر فبعد رئاسة يوسف دخو ترأس على تلكيف منصور يلدا وقد كان الرئيس الكل في الكل، اذ كان تنصيبه يتم بأمر باشوي من قبل «والي الموصل» الذي كان يمنح كل رئيس سيفا وطيلسانا فيحكم حكما دكتاتوريا ويبقى في الحكم طالما يحمل هدايا الى الباشا فلا يحاسب على اعماله اذا عدل او ظلم. وظلت الحالة كذلك الى اواخر القرن التاسع عشر حيث تبدلت الحال وبدأ يتم انتخاب الرئيس ومختاري المحلات من قبل الاهالي انتخابا مباشرا.

رؤساء تلكيف

وطرف من اخبارهم

قام في تلكيف عدة رؤساء حكموا حكم المستبدين في امرهم كما كانت الحالة في تلك الايام. ولم يختلف حكم هؤلاء عن حكم رجال الاقطاع في اوربا او رؤساء العشائر في العراق الا كون الرئاسة في تلكيف لم تكن وراثية فكان الرئيس منتخبا من قبل الاهالي ومؤيدا من قبل الوالي او حاكم الموصل.

فمن اولئك الذين تولوا الرئاسة الرئيس مروكي ابن صريثة وهو من عائلة بيت كساء (بفتح الكاف وتشديد السين) وكان ظالما متعسفا اذا رأى رداءً جميلا على احد حسده وبعث في طلبه فيغتصبه منه. الا انه بجانب هذه الاعمال كان حازما شجاعا وفي بعض

الاعمال عادلا قاسيا.

وتولى الرئاسة كوريا من بيت جابرو وكان فارسا عنيدا يعتد بنفسه ويفتخر وكانت له شهرة واسعة في اعمال الرجولة.

ومن هؤلاء الرؤساء الرئيس عوديش بربات كان كريما متلافا يجلس على مائدته كل يوم مئات الضيوف يدعو القريب والغريب الى طعامه فكانت شهرته في كرمه الحاتمي.

وتولى الرئاسة على تلكيف بعد عوديش بربات كوركيس حبة ولم يكن حقه فيها بكثرة الحول والاتباع ولكن لذكائه وحصافة رأيه فساس الرعية بكفاءة وجدارة وكان له ضيع وعقارات واسعة منها عقار قره خراب الخصب التربة.

وتولى الرئاسة يوحنان كمو وكان رجلا رضي الاخلاق شهما عادلا.

وقام رئيس آخر من بيت عبرو هو يوسف عبرو تولى الرئاسة في زمن متأخر.

وقام رئيس آخر من بيت شمامي وكانت دار هذه العائلة مملوءة بالرجال والاتباع كما كانت لهم املاك وعقارات واسعة. وافضل هؤلاء الرؤساء الرئيس منصور يلدا وهو دخيل في تلكيف هجر ابوه قريته وجاء الى تلكيف وسكن فيها فرقي ابنه منصور الى الرئاسة فكان رجلا رحوما شفوقا حنونا على الاهالي يرأف باليتيم والارملة ويقضي للمحتاج من ماله وبالجملة فقد كان منصور يلدا رجلا صالحا عاقلا.

ومن عجائب الزمن ان جميع هؤلاء الرؤساء الذين ذكرناهم هنا اندثرت آثارهم واصبحت بيوتهم خرابا ينعق فيها البوم وتعشعش اللقالق فوق جدرانها المتهدمة. ولم يبق من تلك القصور الشامخة الا اطلالها. وكانت عقارات اولئك الرؤساء شاسعة واسعة فاورثوا اولادهم تلك الاراضي التي هي من اجود البقع من عقار تلكيف.

الرئيس يوسف دخو

ومن الرؤساء الذين يذكرهم سكان تلكيف بالتجلة والاحترام ويسجلون لهم اعمال البطولة الحقة، الرئيس يوسف دخو. فقد كان الغرباء من العربان قد نزلوا في اطراف تلكيف في العقار ومنهم من ابتنى بيوتا في بعض الخرائب القديمة حتى ضاق الاهالي من

تعديات هؤلاء الغرباء الذين كانت قطعانهم ومواشيهم ترعى الزروع ويتلصص رجالهم حول البلدة ليلا. فكان لما ترأس يوسف دخو على تلكيف لم ير وسيلة افضل للتخلص من هؤلاء غير القوة فكان يصطحب معه نحو مئة او مئتين من الشبان ذوي البأس ويخرج ليلا فيأتي الى منازل او بيوت مجتمعة من بيوت هؤلاء فيداهمهم برجاله الاشداء فيقوض خيمهم ويهدم منازلهم ويشتت شمل سكانها بعد ان يثخن رجاله بمن قاومهم من هؤلاء. وهكذا تخلصت تلكيف من تعديات الغرباء واذاهم بفضل شجاعة رئيسهم يوسف دخو.

رؤساء آخرون

ومن هؤلاء الرؤساء الشجعان المحنكين عوديش بربات. كان المذكور رجلا غنيا وكريما مبذرا كما مر، وقد شكاه بعض الاهالي عند والي الموصل فارسل الوالي في طلبه رئيس المئة مع مئة جندي -او رومي كما كان الجندي يدعى في ذلك الزمن- للقبض عليه بحجة انه قبض اعانات من الاهالي ولم يسلمها الى خزينة الحكومة ولما علم الرئيس عوديش بذلك اعد وليمة فاخرة للقادمين وظلوا يقصفون في ضيافته مدة اسبوع حتى ملوا من اكل الدجاج ولحوم الخراف بل قيل ان خيلهم كانت تعلف حنطة كل هذه المدة بدل الشعير. فلما رأى ذلك رئيس المئة، او «يوزباشي» كما كانوا يدعونه، اكرمه واحترمه واطلق عليه لقب «بربات» لبذخه وكرمه. واخبر الوالي ان ماوشي به رئيس تلكيف لا صحة له. فارسل الوالي بطلبه فلما مثل عنده اهداه سيفا وقباء حريريا وصرفه مكرما.

وكان للرئيس عوديش اخ شجاع اسمه حنا. حدث في بعض الايام ان اغارت عصابة من الغزاة على مواشي تلكيف فاستاقوا امامهم «الجول» وهي بقرات اهل القرية الحلوبة التي يسرح بها الراعي في انحاء العقار كل يوم، فخرج فتيان تلكيف للهوار[1] وعلى رأسهم حنا اخ الرئيس، فكان اللصوص خيالة واهل الطلب مشاة وظلوا يلاحقون الغزاة

(١) هوار كلمة كردية معناها النجدة. وهو اصطلاح عند اهل الشمال في العراق من الاكراد وغيرهم. فاذا نادى المنادي بهذه الكلمة التي هي علامة هجوم عدو او سلب اللصوص لاحد ابناء القرية او لعابر سبيل خرج الناس للنجدة.

ويحثّون في اثرهم فتخلف البعض ورجع من رجع من الذين لم يقووا على متابعة المطاردة فلم يبق وراء العصابة الا ثمانية من الفتيان، وكان عدد الخيالة نحو اربعين فارسا فادركهم رجال تلكيف قرب نهر دجلة ولم يبق للصوص من مناص فاما ان يقاتلوا او يتركوا السلب. فجرت معركة شديدة بين الطرفين الخيالة بالرماح والسيوف وفتيان تلكيف بالعصي والحجارة فوقع ستة من الخيالة ثلاثة منهم طرحهم على الارض حنا اخ الرئيس. فاقترب عقيد الغزاة من هذا البطل وطعنه بالرمح في بطنه فخرجت امعاؤه وسقط على الارض. فرجع احد رفاقه ولـف ثوبه على بطنه وحمله على كتفه فصاح الجريح برفاقه «عليهم! سبعة بسبعين» اي انكم سبعة رجال تعادلون سبعين رجلا منهم. ولم يزل الفتيان بالخيالة حتى اوقعوا بهم واسقطوا من عددهم نحو النصف. فانهزم من بقي من العصابة ورجع الفتيان يستاقون امامهم بقرات اهل البلدة والاسلاب. اما الجريح فقد شفي من طعنته بواسطة جراح ماهر من اهل البلدة نفسها.

ومن هؤلاء الابطال الرئيس كوريا من بيت جابرو. قيل ان محمد باشا والي الموصل طلب اعانة من اهل المدن والقرى وهي ان تقدم كل قرية او بلدة عددا من الرجال والحيوانات (البغال) لكي يذهبوا مع جيش الحكومة لمحاربة اليزيدية الذين كانوا قد شقوا عصا الطاعة وتحصنوا في جبل سنجار. فاصدر الوالي امرا الى رئيس تلكيف ان يقدم اعانة تكون مئتي رجل ومئتي بغل لمرافقة الحملة ليذهبوا الى سنجار. فاخذ الرئيس كوريا مئة رجل معه وذهب الى الموصل ولم يأخذ معه ولا بغلا واحدا. فوقف الوالي في رواق السراي وقد حضر المكلفون في ساحة السراي واخذ كاتب الوالي يقرأ اسماء المكلفين بهذه التجهيزات الى ان جاء اسم الرئيس كوريا فبرز هو ورجاله من بين الحاضرين واذا بهم مئة رجل فقط مع رئيسهم. فسأل الوالي رئيس تلكيف قائلا «اين رجالك؟» فقال الرئيس كوريا «هؤلاء مئة رجل ياحضرة الباشا وانا بمئة» فاغتاظ الوالي من هذا الجواب وقال باستخفاف صائحا ومنتهرا «بماذا انت تعادل مئة رجل؟» فاستأذن كوريا ان يركب فرسه امام محمد باشا فركب واخذ يأتي من اعمال الفروسية امام الوالي وامام الحاضرين ما أدهشهم.. فدعا به فلما مثل امامه قبله على جبينه وقال له «انت بالف رجل!».

ولما سئل كوريا عن عدم احضار البغال طلب السماح له ان يبدي رأيه للوالي فاذن له

بالكلام فقال الرئيس كوريا انه من الخطأ ان تستخدم الحكومة البغال في حملة سنجار فان المسافة بين الموصل وسنجار تبلغ مسيرة اربعة ايام وان البغل بالكاد يقدر ان يحمل علفه -شعيرا وتبنا- لهذه المدة. فارى من الافضل ان تستخدم الحكومة في هذه الحملة الجمال. فان كل جمل يحمل حمل بغلين وعلفه الشوك والعاقول من البر. فاستحسن الوالي هذا الرأي وارتفعت اصوات من مئات الرؤساء والتجار ورجال الدولة بالثناء على رئيس تلكيف. وكانت رئاسة كوريا قبل قرن واحد من هذا التاريخ.

وقد تولى الرئاسة في تلكيف غير الذين وردت اسماؤهم في هذا الكتاب. الا ان الذي فاق شهرة ونفوذا وانتشر صيته بين القريب والبعيد هو منصور سيسي من بيت كساء اذ كان ذا هيبة ووقار، شجاعا مقداما، حازما كريما رحوما. ولم يقم في جميع البيوتات في تلكيف مثل بيت سيسي بالمال والادارة والرجال والخدم والاتباع والاقرباء. فكان هذا البيت من اكرم البيوت واشرفها واغناها وارفعها. وقد لازم التوفيق هذه العائلة طول ايام المرحوم منصور سيسي فكان البيت عامرا بالابناء والكنات والاحفاد. ومطهمات الخيل مربوطة في ساحة الدار. وعشرات الضيوف كل ساعة يدخلون ويخرجون في الدار العامرة.

وقد جرت حوادث ومصادمات بين رجال العشائر واولاد منصور سيسي او مع غيرهم تحت زعامتهم، ابلوا فيها بلاءً حسنا. وكان القريب والغريب في البرية والجبل يكرم رجال تلكيف او المنسوبين الى هذا البيت لسبب (خبز وملح) الذي كان الناس يأكلون فيه. وكان مجلس منصور سيسي عبارة عن محكمة لحل المنازعات والخصومات بين الاهالي من ابناء البلدة والغرباء.

وبعد دخول الانكليز العراق تولى الرئاسة داود بن منصور سيسي في ايام والده منصور سيسي الذي لم يتح لغيره لا من المتقدمين ولا من المتأخرين ان يحوز النفوذ الذي كان له في ايامه. وبعد داود سيسي تبدلت الرئاسة في عهد الحكومة الوطنية، الى رئاسة البلدية التي انيطت اخيرا برجال الادارة الذين تعينهم الحكومة العراقية مدراء النواحي، اذ اصبحت تلكيف ناحية تتبعها نحو ٨٠ قرية.

الفصل الخامس

الانشقاق الكبير - امراء تلكيف ورجال الفكر فيها
مار يوسف الثاني - بعض الكهنة - خطباء ووعاظ
شعراء - شاعرات - مارياترازيا اسمر وغيرها

الانشقاق الكبير

او

«بوللا» و «بردي»

ان اهالي تلكيف جميعا مسيحيون كلدان كاثوليك. وقد كانوا وثنيين يعبدون الآلهة الآشورية مثل اجدادهم الى ان اعتنقوا الديانة المسيحية في القرن الاول للميلاد على يد الرسولين مار ادي و مار ماري. وفي القرن الخامس عُرفوا أنهم انصار نسطور، كما عُرفت كنيستهم بكنيسة المشرق. وظلوا هكذا الى القرن السابع عشر حيث اتحدوا مع كنيسة رومية مع المحافظة على الطقس الكلداني السامي المشهور الموضوع للكنيسة الشرقية منذ عهد الرسل وآباء الكنيسة الاولين. لكنه حدث انشقاق مذهبي بين سكان تلكيف وذلك في العقد السابع من القرن الماضي فشطر تلكيف الى فرقتين او جماعتين فالذين ظلوا مع كنيسة رومية سموا «يباسي» او «بوللايي» والجماعة الاخرى اطلقت على نفسها «بردايي» او «ندايي». وكلمة «بوللا» اسم لوثيقة كنسية اصدرها پاپا رومية فلم تقبل بها بعض جماعة الاكليروس في تلكيف. والذين قبلوها سمّوا باسمها اي نسبة الى الوثيقة المذكورة التي يشبه لفظ كلمتها البردي اليابس الذي ابزر وشاخ، اي عقدت رؤوسه على البزر. وخلافه البردي الاخضر.

وكانت كل فئة تخطئ الفئة الاخرى. فجرت منازعات ومعارك عديدة بين الطرفين

وحرموا التزاوج بين «اليباسي» «والندايي» فطُرِدَ اليباسي اتباع الپاپا من الكنيسة ورفعت الصور والايقونات من الهيكل فخرجت الفئة المطرودة واتخذت لها بيتا عاديا للصلاة.

وكان زعيم اليباسي المتمسكين بقانون الپاپا الخوري بطرس كتولا. واما زعيم الندايي اي المنشقين فكان القس قرياقوز حنا حكيم. فكان القس قرياقوز يجلس في ساحة من سوق بيت عبو فيؤتى برجل ويسأل امامه هذا السؤال، ممن انت. أمن اتباع القس قرياقوز ام من اتباع القانون (بوللا)؟ فكان الذين يصوتون بجانب القس قرياقوزا اكثر من اتباع القانون الموضوع البحث، في ذلك الاستفتاء. وقد جرت هذه الحوادث في ايام رئاسة يوسف عبرو.

وقد ابتنى اليباسي لهم كنيسة صغيرة مقابل الكنيسة القديمة الكبيرة التي ظلت مع هياكلها الثلاثة بيد المنشقين. ودام النزاع المذكور نحو عشر سنوات الى ان وقع الصلح بين الطرفين فرجع المنشقون الى الكنيسة الرومانية.

وقد اخر ذلك الانشقاق في سكان تلكيف كما افادهم من جهة اخرى حيث ظهر نشاط كبير على رجال الاكليروس وحيث خيل لكنيسة المشرق انها اصبحت حرة مستقلة. فنظمت احوال الكنيسة الداخلية ونال السيامة شمامسة عديدون، حتى بلغ عددهم ٧٢ شماسا على عدد الرسل و ١٢ كاهنا على عدد تلاميذ المسيح. وفي ايام بوللا وبردي سيم القس يعقوب بودو مطرانا من قبل البطريرك مار يوسف اودو وارسل الى الهند ليرأس كنائس ملبار الكلدانية الا ان هذا النشاط لم يدم طويلا في الكنيسة الكلدانية، اذ تراجعت اخيرا امام كنيسة رومية واستدعت المطران يعقوب من ملبار فخسرت بذلك الكنيسة الكلدانية كلدان ملبار الى الابد. وكانت تلك اعظم ضربة على الكنيسة الكلدانية.

امراء تلكيف

ورجال الفكر فيها

لا اقصد بالامراء الحكام المدنيين. اذ منذ سقوط نينوى العظيمة بيد الفرس والكلدان وانسحاب من بقي من عائلة البيت المالك والامراء الى الجبال وتحصنهم فيها، لم يحكم تلكيف من ذلك الحين امير مستقل، الا الرؤساء الذين كانوا شبه اقطاعيين كما مر الكلام على ذلك. لكن المقصود هنا بالامارة الوظيفة الكنسية، او درجة الكهنوت التي يرتقي اليها رجال السلك الروحاني، وهي رتبة المطران الذي يطلق عليه لقب «مار» بالكلدانية وتقابلها بالعربية «امير». وقد نبغ في تلكيف رجال روحانيون وصلوا الى هذه الرتبة الرفيعة اظهروا فيها كفاءات نادرة حتى حسبوا في مقدمة رجال الكنيسة الكلدانية. من اولئك البطريرك مار يوسف الثاني من آل معروف، الذي رقي الى كرسي البطريركية من سنة ١٦٩٥ الى سنة ١٧١٥ ميلادية فنال انبل رتبة كنسية في الشرق بذكائه وعلمه ونشاطه الفذ. وله مؤلفات قيمة بلغت ٣٢ مؤلفا. وفي ايامه وبفضله تم انضمام من بقي في تلكيف على التقاليد القديمة الى الكنيسة الرومانية، فهو يعد من انبغ بطاركة الكلدان. وله قصة عجيبة من فائدة التاريخ ان نوردها مع ذكر اسمه دليلا على نبوغه منذ الصغر.

كان والد البطريرك مار يوسف الثاني حائكا لما كان هو يافعا صغيرا. قيل انه في احد الايام كان هذا الصبي يمشي وراء ابيه الذي كان يسدي سدى للحياكة في ارض البيادر حول البلدة. فسأل الصبي والده «ماتعمل ياابتي لما تنتهي من نسج هذا السدى» فقال الاب «اننا نسدي آخر ياولدي». فقال الولد «ولما تفرغ من الثاني» فقال الاب «نسدي آخر ايضا». فقال الولد «ثم ماذا ياوالدي» فقال الوالد «ثم نسدي غيره كلما فرغنا من حياكة ماقبله!»، فاخذ الولد يفكر في هذه الحالة. وترك الوالد ابنه يحرس السدى وذهب هو الى البيت لبعض شأن له، غير مفكر باسئلة الولد الصبيانية «التافهة». وفي اثناء ذلك مرت قافلة بتلكيف كان فيها بعض الرهبان اللاتين وقفوا هنيهة في بيادر

تلكيف للاستراحة. وصادف وجود الصبي المذكور هناك فالقوا عليه بعض الاسئلة كما هي عادة الغرباء اذا مروا بمكان لا يعرفون عنه شيئا. ومن الاجوبة التي سمعوها من ذلك الصبي الصغير آنسوا فيه الذكاء. فاقترح احدهم عليه اذا كان يريد ان يرافقهم لكي يدخلوه المدرسة. فرضي الولد فرحا وسار معهم بعد ان ارسل الى والده من يعلمه انه التحق باهل القافلة الرهبان ليذهب معهم اينما ذهبوا. فاوصله هؤلاء الى ديار بكر وهناك ادخل مدرسة للاتين فتخرج على المذهب الكاثوليكي - لان سكان تلكيف في ذلك الوقت، ومنهم والد الصبي المذكور كانوا لازالوا على مذهب نسطور - ثم سيم قسا فمطرانا، الى ان اصبح بطريركا على الكلدان ونال مقاما رفيعا بجده ونشاطه وتآليفه النفيسة التي الفها في مواضيع علمية وتاريخية، اهمها في اثبات كثلكة الكلدان المسيحيين من اعتقاد آبائهم وكتب طقسهم وهو يعد من انبغ بطاركة الكلدان.

وعدا البطريرك مار يوسف آل معروف ارتقى الى كرسي الاسقفية غير واحد من تلكيف منهم حديثو العهد مثل مارباسيليوس من بيت اسمر الذي صار مطرانا على ديار بكر ومار عمانوئيل مطران زاخو كذلك كان من بيت اسمر. ومار كيوركيس من بيت گوگي. والمطران مار يوحنا من بيت قينايا، والمطران مار شمعون من بيت سنوي والمطران مار يعقوب مطران الجزيرة، من بيت بودو، وقد استشهد بيد اناس متوحشين في الحرب الكبرى. والمطارنة الذين اوردنا اسماءهم كانوا جميعا في المئة السنة الاخيرة من زماننا هذا. وتراجمهم مسجلة في سجلات الكنيسة.

كهنة مشهورون

وقد نبغ في تلكيف كهنة افاضل اشتهروا بالعلم والادب، علموا والفوا ونظموا الشعر. ومن اشهر هؤلاء القس شموئيل من بيت جميل الذي رقي للرئاسة العامة للاديرة الكلدانية والمتوفى سنة ١٩١٧م فقد كان عالما فاضلا واديبا ومؤلفا وله مؤلفات قيمة منها طبعت ونشرت ومنها لازالت خطية لم تطبع.

ومن الواعظين المشهورين وعلماء الطقس الكلداني الخوري بطرس كتولا، فهو «قس» تلكيف في الوعظ والخطابة لم يقل احد، سمع وعظه، انه سمع لواعظ او خطيب وعظا او خطبة مثل مواعظ الخوري بطرس. فقد كان يعرف روحية الشعب اكثر من اي خطيب او واعظ في زماننا هذا زد على ذلك طلاقة لسانه وعلمه الغزير وامثاله الحكيمة وقصصه المؤثرة التي كان يوردها اثناء الوعظ.

اما من حيث معرفة الطقس الكلداني ومقامات الصلوات فلم يقم له ند في الكنيسة وكان ذا صوت رخيم تقوي، كان زينة الكنيسة وكنارها. وقد عاش الخوري بطرس الى مابعد الحرب العظمى بعد شيخوخة طويلة قضاها بنشاط وهمة في خدمة الكنيسة.

ومن الواعظين الشهيرين ومن رجال الفكر والعلم الغزير والعقل الراجح القس فرنسو دابش. كما كان استاذا قديرا قضى سنوات عديدة في التدريس في الموصل وفي تلكيف.

ومن الشخصيات البارزة في المجتمع العراقي الخوري جبرائيل قرياقوزا. كان كاتبا نحريرا واديبا قديرا وذا شخصية محترمة وهيبة ووقار. وله وقفات جليلة في مصلحة اهالي تلكيف. توفي حديثا في بيروت ودفن فيها.

شعراء وشاعرات

كاد جميع المتعلمين في تلكيف ان يكونوا من رجال الدين، اما شمامسة او قسوسا. فكانت افكارهم كلها منصرفة الى الامور الروحية وكانت كتاباتهم منحصرة اما باستنساخ الكتب الطقسية والعلمية او تأليف مايعن لهم من هذا القبيل، وهو لا يخرج عن ان يكون من الامور الدينية، فلا غرو ان يقل عدد الذين يهتمون بالمسائل الدنيوية، اذا كانت تلك افكارهم كما قلنا. لكن بالرغم من ذلك نجد بينهم من شذ عن الاكثرية بالتفكير. وانصرف الى نواحي اخرى مثل بعض الشعراء او المغنين. ومن هؤلاء توما تكتك الذي نبغ في منتصف القرن الماضي فهو اشعر شعراء تلكيف بل هو عندهم مثل جون ملتن عند الانكليز. لكن مع الاسف لم يحفظ من شعره الكلداني والعربي الا بعض قصص شعرية بالكلدانية الدارجة اشهرها قصيدة «طريق الجنة» والثانية «طريق جهنم» وقطع اخرى

متفرقة على السن الناس. وقد انشد القصيدة الاولى وهو مستلق على ظهره يناجي نجوم السماء ليلا، مطلعها:-

«اليك ارفع عيني ايها الساكن في العلى»

فهي من ابدع قصائده. وقد كان الشاعر اميا او شبه امي. وقيل انه كان معوزا. وكان يغزل بالدولاب ويعتاش. فاذا كلفه احد ان ينشد الاشعار انشد ارتجالا. وكان يرضى ان تكون اجرته مايمكن ان يغزله لنفسه اثناء الانشاد. فكان السامع يكتب القصيدة او يتعلمها او يطرب بسماعها.

وكانت شهرة توما تكتك قد ذاعت بين العرب في الخارج. وقد قصده مرة شاعران من هؤلاء من برية سنجار الى تلكيف. فعبرا نهر دجلة قادمين الى تلكيف وهما لا يعرفان الطريق. فرأيا فلاحا يحرث الارض في العقار المسمى «قبر قير» وكان هذا الفلاح جالسا يأكل طعامه فدعا هذين الغريبين الى مشاركته في الطعام ثم سألهما عن الجهة التي يقصدانها فقالا له عن غايتهما وانهما يقصدان قرية تلكيف ليمتحنا توما تكتك في الشعرَ والغناء. فقال توما لهما «علام هذا العناء. فانا اعرف بيتين لتوما تكتك فان شئتما فاني انشدهما». فلما انتهى من الانشاد قام الرجلان يعانقانه قائلين «انك انت توما اذ لا يمكن لغير توما ان ينشد مثل هذا الشعر. وقد سلمنا بافضليتك علينا». وقد نبغ غير توما المذكور بالشعر والنظم الا ان اكثرهم لم يتركوا آثارا تستحق الذكر.

اما بين النساء فقد نبغت كثيرات خاصة «معددات» كل واحدة منهن تعد «خنساء العرب» في المناحات في تلكيف.

لكن من الشاعرات النابغات بين المتأخرات حنة «النبية» التي كانت تنشد عشرات الابيات ارتجالا. واشهر قصائدها او قصصها الشعرية هي التي الفتها «في حالة الفلاح» بلغة سورث لما اكلت «السون» الزروع -الحنطة وحتى الشعير- وعقب ذلك مجاعة في البلدة، فابدعت حنة في وصف حالة الفلاح كل الابداع. ويحفظ كثيرون من اهالي تلكيف القصيدة المذكورة، وكثيرا ماينشدونها كلما ساءت حالة الفلاح.

الاميرة التلكيفية
ماريا ترازيا اسمر

في هذه البقعة التي نبغت فيها سميراميس، ملكة آشور وعاهلة نينوى، المرأة التي لم تكن الدنيا على رحبها لتتسع لما كان يجيش به صدرها من آمال، الملكة التي وهبتها الطبيعة الى نعمة الجمال نعم القوة والرشاد والتوفيق.. توسعت في بناء ملكها، فكانت تقود جيشها الزاخر الكبير وتوجهه يمنة ويسرة حيثما شاءت غازية، فاتحة غانمة، رابحة، مصيبة ماتحلم به من اتساع ملكها، وخفوق علمها فوق بلاد شتى وامصار بعيدة[1] نبغت الاميرة التلكيفية ماريا ترازيا اسمر اشهر نساء تلكيف بل اشهر نساء عصرها، وحيدة زمانها وفريدة عهدها، «اميرة بابل» كما دعيت في بلاد اوربا. ذات الجمال الرائع والعقل الراجح التي بزت بنات جنسها في الآداب والمعارف والشجاعة والجرأة والمخاطرات، واعمال جبارة يعجز القيام بها عظماء الرجال.

كانت ماريا ترازيا اسمر من بيت اسمر، العائلة المعروفة في تلكيف، واسمها الاصلي مريم الحق به اسم العماذ لها وهو (ترازيا) فسميت ماريا ترازيا. واسم والدها القس بطرس اسمر. وهي ابنة اخ المطران مار باسيليوس اسمر رئيس اساقفة ديار بكر. وابنة عم المطران مارعمانوئيل اسمر، مطران زاخو. وقد رأيت من المفيد ان اوسع الكلام في وصف ماريا ترازيا لما لهذه «الاميرة» من الاعمال الجليلة. وقد كتبت هي نفسها عن مدينة تلكيف حيث ولدت وترعرعت امورا كثيرة يمكن ان تعد مصادر ذات قيمة في تاريخ تلكيف. وكتابها الذي عنوانه (**مذكرات اميرة بابلية**) من الكتب النفيسة وتفوق قيمته التاريخية كتبا كثيرة وضعت في عهده من كتب الرحالة والمغامرين والسياح. فقد كتبته الاميرة ترازيا بنفسها وترجم الى اللغة الانكليزية وطبع سنة ١٨٤٤م وهو يقع بمجلدين مجموع عدد صفحاتهما نحو ٧٦٠ صفحة. ففي هذا السفر الثمين وصف لتلكيف ومعيشة سكانها وعاداتهم وتقاليدهم وعلومهم وآدابهم وحلمهم وكرمهم وتدينهم، وحالة مملكة

---

(١) تأليف ارنستاستار -ترجمة سليم سعدة- دار النشر الحديث بمصر.

ماريا ترازيا
اسمر
Marie thérèse Asmar

الاميرة ماريا ترازيا اسمر

تركيا وحكامها وعادات الاهالي وتعصب الناس وظلم الحكومة في ذلك الزمن. وفي كتاب «الاميرة» اشياء كثيرة عن بغداد والموصل وعن سوريا والقدس ولبنان حيث قضت ماريا ترازيا عدة سنوات في بلاط الامير بشير الشهابي، الذي استدعاها لتستظل بحمايته بعدما علم بما حل باهلها، وخاصة عمها المطران، من الاضطهاد والسجن ومصادرة اموال بعض اغنياء المسيحيين من قبل «الباشا» والي الموصل. فعاشت ماريا ترازيا معززة مكرمة تحت حماية الامير اللبناني بصفة «اول سيدة شرف» عند السلطانة زوجة الامير بشير، التي قالت ماريا عنها -انها كانت مسيحية والامير نفسه كان يمارس الطقس المسيحي في عبادته- وقد تركت ماريا ترازيا لبنان الى رومية ومن ثم سافرت الى باريس فلندن. وتعرفت على كثيرين من العظماء والامراء في اوربا وقضت باقي حياتها في التنقل بين عواصم تلك القارة وعلّمت في انديتها وكانت هي تحسن من اللغات، اللاتينية، الفرنسية، الانكليزية، الهندوستانية، فضلا عن العربية والكلدانية.

ويطول بنا البحث اذا وصفنا كتاب ماريا ترازيا الذي يدل على براعة الكاتبة وعلمها الغزير وتضلعها في العلوم والآداب، وذلك من الاقتباسات التي ذكرتها في كتابها، مما يدل على اطلاعها الواسع. وقد كانت تعرف الكتاب المقدس معرفة جيدة حيث كانت تقتبس جملة منه في كل مايعترضها من المناسبات. اما هي فقد تلقت علمها وادبها في الدير وفي مدرسة تلكيف التي تقول عنها ان كلمة «آثينا مابين النهرين» كانت غالبا تطلق على هذه البلدة الصغيرة، لميل اهلها الى العلوم والمعارف.

وماريا ترازيا هي اول امرأة في الشرق، على مانعرف، سعت الى تهذيب بنات جنسها. وقد فتحت مدرسة لهذه الغاية في بغداد لكنها اخفقت في مسعاها لتعصب القوم في تلك الايام. وفي الجملة ان ماريا ترازيا هي فخر نساء مابين النهرين اجمع.

وفي كتاب ماريا ترازيا المذكور شرح طويل وايضاحات وافية لما كان جاريا في تلك الايام من علاقة الحكومة باهالي تلكيف من حيث استيفاء العشر من قبل «الباشا» من حاصلات الزراعة وترك التسعة اعشار للفلاح وذلك حسب الطريقة القديمة المتبعة مع الفلاحين اصحاب الملك في جميع المملكة العثمانية ومنهم سكان تلكيف.

وكانت ولادة الاميرة سنة ١٨٠٤م وتوفيت في باريس قبل حرب السبعين التي وقعت

بين فرنسا والمانيا، تاركة ثروة طائلة خصصت منها مبلغا كبيرا لكنيسة تلكيف وقد شيدت به كنيسة القديسين بطرس وبولس حيث توجد رفات الاميرة مدفونة بعد نقلها من باريس. ولم تتزوج ماريا بل ظلت مترهبة طول حياتها.

ومن شهيرات التلكيفيات السيدة هيلانة ابنة ابراهيم الموصلي «التلكيفي» وهي ابنة اخ سمعان رأس العائلة المعروفة في تلكيف. وقد عاشت المذكورة في مصر الى اوائل القرن الحالي وقد تركت ثروة عظيمة اوصت بالقسم الاعظم منها الى اعمال البر والاحسان كما اوصت بمبلغ كبير من المال الى كنيسة الكلدان في مصر.

وغير من ذُكرت اسماؤهن في هذا الكتاب نساء فاضلات اشتهرن بالاعمال الصالحات او بالجمال او بحسن الصوت، واكثر هؤلاء كن معددات والبعض اشتهرن بالشجاعة ومرافقة الرجال في المعارك التي كانت تقع بين فتيان تلكيف والغرباء فكانت النساء يزغردن ويبعثن النخوة والشجاعة في الرجال. كما حصل مرة عند اختلال الامن ايام الثورة العراقية سنة ١٩٢٠م، اذ تألفت عصابات للسلب والنهب من بعض رجال العشائر في تلك المنطقة، فتألفت من السيدات، عدا الرجال، «نجدات» كانت ترابط خارج البلدة لصد هجمات المغيرين.

الفصل السادس

الزواج في تلكيف - عادات الزواج - المآتم - الملاهي والالعاب - المواسم - صوم الباعوث - حل المنازعات بينهم

الزواج في تلكيف

كانت عادة الزواج في تلكيف، الى عهد قريب، ان يتقدم طالب الزواج على خطبة من يريد الزواج منها بواسطة امه او اخته او احدى قريباته فتذهب هذه الى والدة البنت او والدها او احد اوليائها فتفاتحهم في امر الخطبة. والعادة هي ان لا تخطب البنت قبل ان يتم عمرها ١٢ سنة فاذا اتمت ١٢ سنة من العمر تزف الى العريس. ونادرا ماتتزوج البنت اذا زاد عمرها على عشرين عاما مثلا، وقد يكون عمر الشاب عشرين سنة او اكثر الى الثلاثين وربما الى الاربعين. وتبقى البنت مخطوبة بضعة اشهر او سنة او اكثر الى ان يكمل عمرها (١٢ سنة) فتجري حفلة الزواج على الترتيب التالي:-

وقبل ان نصف المراسيم وحفلات الزواج نقول انه لا يجوز ان يرى الخطيب خطيبته ولا ان يجالسها فاذا صادف ان رآها فالآداب المتعارفة عندهم تمنع ان يكلمها واذا نظر اليها هو فلا تتجاسر هي ان ترفع نظرها اليه.

تجري الاستعدادات قبل يوم البراخ بيوم واحد وذلك بان يدعو العريس اصدقاءه واقاربه فيجتمع الشبان عصر يوم السبت، اذ يكون يوم الاحد عادة يوم البراخ، فيحمل كل واحد منهم قنينة من العرق ويطوفون بالبلدة فيسقون كل من صادفهم من الاصدقاء والمعارف او يذهبون الى بيوت بعضهم، ومعنى ذلك انهم يدعونهم الى العرس من قبل العريس. ففي يوم الزواج يذهب العريس مع اهله واقربائه الى بيت اهل البنت وهناك تجري المراسيم الدينية وحفلة البراخ او التكليل بحضور الاقارب والاصدقاء. ولما تنتهي المراسيم

طبل وزرنة في موكب عرس

الدينية التي يقوم بها الكاهن، يركب العريس الفرس فيحيط به اقرباؤه وذووه والمدعوون من قبله ويسيرون اولا. ثم تركب العروس فرسا آخر فتحيط بها النساء من اقربائها وجاراتها والمدعوات فيؤلفن مع الرجال موكبا ثانيا ويسرن وراء موكب العريس. وفي اثناء سير الموكب تسدل العروس حجابا على وجهها وهو عبارة عن منديل حريري ذي لون زاه. ويرتل رجال الموكب الاول تراتيل دينية او يغني شبانه وشاباته مايشاؤون من الاغاني، وكذلك تغني الشابات المحيطات بالعروس مستقلات عن الموكب الاول وهكذا يدور الموكبان معا دورة في شوارع البلدة -ولابد من المرور امام الكنيسة في اثناء الطواف- الى ان يأتوا الى بيت العريس والشبان يرقصون حلقات او منفردين وفي ايدي البعض السيوف والخناجر او يطلقون النيران في الهواء. وكثيرا مايصادف مرور الموكب المذكور امام بيت احد اصدقاء عائلة العريس او العروس او من اقارب احد الطرفين

فيسقي رجال الموكب خمرا تقديرا واحتراما لافراح العرس او تلقى الحلويات والملبسات والنقل على رؤوس الجماهير ليلتقطها الصبيان. واذا صادف ان مر الموكب امام دار عائلة لها ميت حديث يصمت المغنون احتراما.

وليس مستغربا ان يحضر العرس اناس كثيرون خاصة النساء من دون دعوة رسمية، من قبل اصحاب العرس. لان التفرج مباح لكل احد حتى الدخول في بيت العرس.

ولما تنتهي دورتهم من الطواف يقفون امام بيت العريس وهناك تظل النساء تغني. والعادة هي ان تغني واحدة منهن وتنشد بقية النساء بيتا مألوفا هو الردة عندهم وهو كما يلي:

«هيديلان ديلان ديلان هيديلان وانديلان»

وقد يطول وقوف الموكب هنا قبل ان تنزل العروس من الفرس وسبب هذا الوقوف هو ان العروس بقي لها عند اهل العريس حاجة (هدية) فيجب ان تعطى قبل ان تدخل بيت عريسها وقد يطول الاخذ والرد تعمدا (احيانا) قبل ان تسلم الهدية المطلوبة فاذا انحلت هذه العقدة نزلت العروس من الفرس فتحمل من قبل احد اقاربها الى داخل البيت. وعندما تمر بباب المخدع يضرب احدهم جرة صغيرة في الحائط فوق الباب فتنكسر، وربما كانت الجرة مملوءة ببعض الكرزات، فتقع الحلويات على رأس العروس. ثم تجلس العروس في زاوية من الحجرة المعدة لها وهي الخدر او موضع يزين للعروسين فتكون الزاوية المذكورة مزخرفة بالالوان، جميلة مزينة بالتصاوير والرسوم البديعة. وهذه العادة مأخوذة من الآشوريين القدماء وكانت تدعى عندهم «بيت غنونا» اي الخدر، فتجلس العروس في هذه الزاوية ايام الحفلة التي تكون عادة خمسة ايام اي من يوم الاحد الى يوم الخميس وجميع المدعوين في هذه المدة يلازمون بيت العرس وهم يغنون ويطربون ويقصفون طول النهار تارة في البيت وتارة يخرجون الى البيادر ويخرج معهم العريس ايضا مع «الاستاذ» الذي يلازم العريس، ولابد ان يكون متزوجا، وهو يرشد العريس الى بعض امور الزواج التي قد يجهلها. اما الشبان الغير متزوجين فلهم رئيس او زعيم يدعى «شيخ العزاب» فهو الذي يغني لهم ويطربهم وله نفوذ في بيت اهل العرس في احضار مايشتهي هو ورفاقه من المأكل والمشرب. وفي عصر يوم الثلاثاء يجتمع جميع المدعوين

فيجلسون في بيت العريس على السطح او في الغرفة استعدادا لتقديم الهدايا الى العريس -وهي عادة، دراهم- لكن لا يجرؤ احد على تقديم هديته مالم يرض شيخ العزاب. وفي اثناء ذلك يقدم الساقي دجاجة سمينة محمسة بالدهن الى زعيم العزاب فيقبلها بعد مناقشة لطيفة. وفي اثناء ذلك تنشد الشابات اناشيد مطربة، تفرح العزاب، فيطوف الساقي وبيده الصينية تلقى الهدايا فيها. واما هدايا العروس فهي من اقاربها فقط.

وبعد انتهاء اسبوع حفلة العرس ومكوث العروس كل هذه المدة في خدرها وقت النهار، يقدم لها اناء من الماء فتغمس فيه يدها اليمنى دليلا على الطاعة ومباشرة العمل في بيت عريسها.

اما ثياب العروس فانها تبدل منذ تقديمها لاجراء مراسيم التكليل اذ تلبس في رأسها قبعا وهو علامة المرأة المتزوجة، واصل القبع عند اهالي تلكيف هو تاج كانت ملكات آشور تستعمله فاستعير هنا للمرأة المتزوجة، كما مر الكلام على ذلك.

وعند انتهاء مدة اسبوع من دخول العروس بيت عريسها تذهب الى زيارة اهلها فتبيت عندهم ليلة الاحد وتستمر هكذا مدة سنة او اكثر. وكانت العادة سابقا ان تشتغل في بيت حميها من الصباح الى المساء ثم تذهب الى بيت ابيها لتناول العشاء ثم ترجع بعد العشاء. وقد كادت هذه العادة ان تبطل. ويمنع الحياء المرأة الحديثة الزواج ان تأكل في حضور زوجها او اهله. واذا قارب يوم ولادتها تذهب الى بيت ابيها فتضع مولودها بين اهلها. ولا ترجع الى زوجها الا بعد انقضاء ايام النفاس. وتحترم المرأة اقارب زوجها وتحتشم بحضورهم. وهي تحترم زوجها احتراما فائقا. والحياء من الزوج يعد فضيلة عندهم. والمرأة لا تنادي زوجها باسمه مطلقا. وقد تناديه باسم احد اولاده كأن تقول ياأبا فلان.

عادات الزواج

الحشمة والوقار من فضائل المرأة عندهم. والمرأة الشريفة في عرفهم هي ان تكون

امها شريفة حرة وكذلك جدتها. فاذا خطبوا بنتا سألوا عن ماضي امها وجدتها وربما عن خالاتها وعماتها واخواتها. لان ادنى شبهة على احدى قريباتها تؤثر على اسمها وسمعتها وربما اخّرها ذلك عن الزواج بمن هي لائقة له. وهم يزوجون الشبان باكرا ايضا اي عند البلوغ حتى تنتظم حياتهم العائلية منذ الصغر. وليس للبنت عندهم ارادة مستقلة فهي تخطب صغيرة وتزوج بارادة اهلها وبمن يشاؤون دون ان تعارضهم في رغبتهم. وكثيرا ماتخطب البنت ويزوجها اهلها وهي لا تعرف خطيبها الى يوم الزواج. ومع مافي هذه العادة من سلب حرية البنت فهم يرون ان ذلك اوفق لسعادة الزوجين واضمن لاتفاقهما في المعيشة، لانه نتيجة اتفاق الآراء من قبل الاهل والاقارب الذين لهم خبرة اكثر. ولانهم لا يريدون الا الخير والسعادة لاولادهم. اما ارادة الاب فهي فوق كل ارادة.

واهالي تلكيف يكرهون الفحشاء كرها شديدا. والفسق عندهم عار كبير لا يمحوه كرور الايام. وكان الرؤساء في السابق يقاصصون من يرتكب فعلا مخلا بالآداب قصاصا شديدا قاسيا. حتى ان بعضهم كان يأمر بتسويد وجه من يرتكب فعلا شنيعا، رجلا كان او امرأة، فيركب حمارا بالمقلوب ويطاف به في شوارع البلدة على تلك الحالة المخزية المخجلة يستهزئ به اطفال الشوارع والمارة حتى يكون عبرة لكل من يراه. والبعض كان يقع عليهم حرم من الكنيسة فلا يسمح لهم بدخولها. وكان القصاص ايضا يقع على من يرتكب السرقة او ماشابه ذلك من كسر وصايا الله او وصايا الكنيسة.

وكان بعض الرؤساء يمنعون الناس من الغناء الفاحش في الاعراس كما كانوايحرمون دق الطبول وغيرها من آلات الطرب.

فتاة غير متزوجة

مــــآتمهـــم

ذكرت عادة الزواج، وهي مصدر الافراح في تلكيف تتناول بيت العرس والاقارب والاصدقاء والجيران واكثر سكان المحلة. وفي عادات القوم تأثير كبير من المحيط الذي يعيشون فيه، ومن القرى والعشائر المحيطة بهم. فاذا مات لهم شخص فالعادة ان يحمل الميت فوق نعش من داره الى الكنيسة حيث يصلى عليه ثم الى المقبرة، وهو التل الذي تكلمنا عنه سابقا. وتسير النساء من اقرباء الميت وراء النعش وقد حسرن عن رؤوسهن ونكثن ضفائر الشعر بحيث يسدل على الوجه والاكتاف. ويسرن وراء الميت وهن يعولن ويندبن. وتنشد المعددة بينهن عبارات وجملا موزونة ومقفاة من كلمات محزنة بحق الميت، ذاكرة صفاته وشمائله. والنائحات يرددن لها.

واما الرجال فانهم يمشون وراء النعش بخشوع وانكسار وذل وحزن عميق على فقدان عزيزهم او عميدهم. ويسير امام الموكب القسس والشمامسة يرتلون التراتيل الروحية المحزنة باللغة الكلدانية بمقام شجي. وفي بعض الاحيان ينشدون المرثاة الموضوعة على لسان آدم يوم طرد من الفردوس الارضي! فيسيرون هكذا الى ان يصل موكب العزاء المحيط بالنعش الى حضيض التل فترجع النساء ويرافق النعش الرجال فقط الى ان يوارى الميت التراب.

وفي اليوم الثاني والثالث من وفاة الشخص تذهب النساء وحدهن الى القبر فيبكين حيث يحضر قسيس مع شمامسة فيصلون على الميت. وتبلغ ايام العزاء عندهم سبعة ايام يقرأ القراء فيها قصص الشهداء والقديسين او فصولا من الكتاب المقدس، بمقام معروف، على المجتمعين في بيت الميت. ووقت المساء يحضر الناس في بيت الميت كذلك ويأتي القسيس فيلقي عليهم وعظا يناسب المقام.

ويلبس النساء والرجال من اقرباء الميت السواد على فقيدهم الى ان تنتهي ايام الحداد وهي عادة مدة سنة واحدة والرجال لا يحلقون ذقونهم مدة اربعين يوما منذ وفاة فقيدهم، وذلك حزنا واحتراما للميت. وكانت النساء لا يستحممن في المدة المذكورة ايضا ولكن البعض منهن يخالفن العادة المذكورة لانها مخالفة لقواعد الصحة.

ومن عاداتهم ان يخرجوا مقتنيات الميت التي كان يستعملها في حياته من ثياب واسلحة، ايام الحداد السبعة الاولى، فتعطى بيد النساء النادبات فيلوحن بها ويعولن. وتشير المعددة على هذه المقتنيات وتصف مزايا الميت تستبكي الحاضرين. من ذلك انه لما توفي «حنان علوسي» وكان من ابطال تلكيف اعطي سيفه بيد شابة حديثة الزواج، وحربته بيد شابة اخرى وكذلك ترسه، فكن «يرقصن» بقطع الاسلحة هذه ويسرن وراء النعش. واظن ان هذه العادة مأخوذة من الرومان. وهي كذلك شائعة عند العرب. وكادت عادة «الرقص» بالسلاح تبطل. واما اخراج ثياب الميت وبعض الادوات التي كان يستعملها في حياته والتلويح بها فلازالت موجودة الى اليوم. والبعض يدفنون مع الميت بعض اشياء ثمينة من ثياب او حلي وهم يحزنون على الميت الى حد الجزع، شأن كل الشرقيين في هذه الحال. ويندر ان تتزوج الارملة عندهم بعد وفاة زوجها احتراما لقرينها وشريك حياتها، خاصة اذا كان لها اولاد منه.

ملاهيهم والعابهم

تكدرت الحياة وصعبت المعيشة في الزمن الاخير، وقد كانت في ايام الآباء والاجداد أفرح وامرح. فقد كانت الملاهي في عهد الاسلاف عادات مشروعة يشترك فيها الشبان والكهول. وكانت ساحات الالعاب والملاهي اماكن البيادر ايام الربيع والخريف وذلك قبل وضع البيادر وبعد رفعها.

وكانت احب الالعاب عند اهل البلدة المسابقات ركضا او قفزا. ومنها لعبة تسمى «القطع» وهي تقوم على الانتباه الشديد وسرعة الحركة. وكيفية القيام بها هي ان تنقسم جماعة من الشبان، يبلغ عددهم من العشرين الى الثلاثين، الى قسمين متساويين في العدد، القسم الداخلي والقسم الخارجي، ويجعلون وسط الساحة محوراً او مركزا للاعبين، علامته صخرة او ثياب اللاعبين حيث يخففون لباسهم استعدادا للعب، فيكومونها في المركز ويقف واحد من اللاعبين الداخليين عند المركز للحراسة -كما يفعل لاعبو كرة القدم باقامة حارس عند الهدف- ثم يبدأ اللعب. فيكون ان يلاحق كل فرد من القسم الداخلي

اي فرد من القسم الخارجي فيركض وراءه ويحاول ان يمسه بيده. فاذا تمكن من ذلك «مات» واحد من اللاعبين وخرج من بينهم. واذا تمكن واحد من القسم الخارجي ان يمر بين لاعب من القسم الداخلي ونقطة المركز دون ان يمكّن احدا من مسه بيده من الخصوم «مات» لاعب من القسم الداخلي.

وهكذا الى ان يسقط اكثر اللاعبين او جميع اللاعبين من احدى الفرقتين. فيكون من بقي من احد القسمين هو الغالب او فريقه. اما اذا تمكن لاعب من القسم الخارجي ان «يقتل» حارس المركز الذي تكلمنا عنه - ولقبه في اللعبة «يمّا» اي الأم لانه كالأم تحمي صغارها - وذلك بقطعه، اي بالمرور بينه وبين نقطة المركز، ينتهى اللعب في الحال بفوز الفريق الخارجي على الفريق الداخلي.

وهناك لعبة اخرى «خشنة» خطرة تسمى عندهم «العياء» والعرب تسميها «حد الرماح» وهي ليست لعبة يراد منها اللهو او الرياضة بل هي بالحقيقة منازلة الخصم لخصمه.

وكيفية ذلك ان يخرج جماعة من الفتيان من بيوتهم او شوارع محلتهم الى البيادر التي هي ساحات اللعب، فيقف واحد منهم على اكمة او مكان مرتفع فينادي الذين يرغبون في المنازلة، من فتيان محلة اخرى. وعلامة المناداة لهذه المنازلة هي ان ينادي بكلمة مصطلح عليها عند الفتيان وهي «عوعا» -مكررة من «عا» وهي كلمة زجر- والنطق بها ان يضع المنادي راحة يده على فمه فيصيح ويربت بيده على فمه اثناء الصياح. فيسمع «الخصوم» فاذا رغبوا خرجوا للمنازلة. ولا يطلب ان يكون الفريقان متساويين بالعدد فاذا آنست فئة بنفسها القدرة على منازلة الفئة الاخرى، نازلتها.

وكيفية المنازلة ان يصطف الفريقان صفين متقابلين فيهاجمان بعضهما بعضا ضربا بالارجل، دون تورع او تفكير مهما كانت الاصابة شديدة. ولا يجوز استعمال الايدي -والذي يخالف هذه القاعدة يكون سببا لوقوع معركة بين الفريقين تكون وخيمة العاقبة- واذا وقع احد على الارض من شدة الضربة فلا يجوز ضربه بعد لانه في حكم الميت او المقتول ويستمر الهجوم الى ان ينكسر احد الفريقين فيهرب او يطلب انهاء المنازلة معترفا بالهزيمة.

وقد كادت الان تبطل العادة المذكورة الا بين الصبيان الصغار وذلك لسبب الاخطار الناشئة عنها.

وهناك العاب اخرى لا تخرج عن كونها رياضية او للهو.

والفروسية عندهم من الرياضة المستحبة فتجري بينهم سباقات الخيل في اوقات غير معينة.

ولعبة «الگولف» معروفة عندهم من زمن قديم ويدعونها «گوتا» اي ضرب الكرة. ويشترك في اللعب الشبان والشابات في ساحة البيادر.

واما اللعبة المسماة «بليارد» فهي معروفة في تلكيف منذ مئات السنين فهم يلعبونها على الارض وليس مثل «الفرنج» على الطاولة. فيشترك فيها لاعبان او اكثر ولكل لاعب كرة واحدة تقابلها نقرة او حفرة ويكون عدد الحفر مساويا لعدد الكرات.

المواسم

تلكيف مدينة مسيحية جميع سكانها كلدان كاثوليك، لا يوجد بينهم غريب. ولذلك فان يوم الاحد عندهم يوم عطلة رسمية لا يرى الانسان فيه شخصا واحدا يزاول عملا، الا عند الضرورة القصوى. فاذا كان موسم الحصاد كان يوم الاحد يوم راحة يترك الناس فيه اعمالهم بتاتا. وهكذا في سائر فصول السنة. ولكن جمال يوم الاحد في تلكيف يظهر في فصل الربيع لما تدفأ الحقول ويعتدل الهواء وخاصة في آحاد الصوم الكبير.

ففي تلكيف وجوارها مزارات عديدة او آثار للكنائس او الاديرة القديمة كما اسلفنا، قريبة او بعيدة قليلا، بين الحقول والمزارع. والعادة ان يخرج الناس شيوخا وعجائز وكهولا وصبيانا وشابات، صغارا وكبارا، اول يوم الاحد من الصوم الكبير، الى اول «مزار» من الآثار المذكورة. وهناك يخرج رجال الدين لتأدية فروض الصلاة في الحقل في ساحة الدير ويلقي الكاهن موعظة على الجمهور بمناسبة الصوم وايام التوبة. وهذا اليوم يسمى «شهرا» اي تذكار، او عيد خاص ببيعة او دير. (وكلمة شهرا تلفظ بالكلدانية الدارجة شيرا).

وفي هذا اليوم يلبس الناس افضل ماعندهم من ثياب. وتخرج الشابات بزينتهن وثيابهن الزاهية الفاخرة، وكذا العرائس بلباسهن وحليهن وبهاء ثيابهن، الذي يفقن به نساء العالم جمالا وحسنا. فهناك يرى الانسان منظرا بديعا كأن ازهار بنات آدم وحواء تجتمع بازهار الطبيعة. فهذه الايام من اجمل الايام عندهم واكثرها فرحا وسرورا. قال احد الانكليز (هو مؤلف كتاب الاقليات في الموصل زار تلكيف في هذا الموسم) «ان نساء تلكيف يشبهن بحسنهن وجمالهن حديقة الورد والازهار».

وفي هذه المواسم يقع اختيار الشبان للشابات اللواتي لم يخطبن بعد اذ هي عبارة عن معرض للجمال يجري فيه التعارف بين الناس. فاذا ارادت المرأة ان تخطب ابنة لاخيها او ابنها او احد اقاربها سألت عن الشابة التي تلاقيها هنا ووقع اختيارها عليها، فتخطب البنت من اهلها - ولا يمكن ان تخطب بنت الا بواسطة والديها او وليها، اذ لا يجوز ان يكلم شاب شابة، او غريب امرأة لا يعرفها، كلاما من قبيل الحب او المغازلة.

الـــرقـــص

الرقص عند اهالي تلكيف عادة شائعة بل مشروعة. ويكاد كل واحد من البالغين بينهم من الرجال او النساء، يحسن الرقص، الا ماندر. ولابد من ان الواحد منهم قد رقص في شبابه. ومع مافي هذه العادة من رياضة او فرح ومرح وطرب فان الرقص في ذاته، على الطريقة المعروفة عندهم، بريء لا يشبه الرقص الافرنجي مطلقا. فالرجال يرقصون. والنساء يرقصن كذلك. وقد يرقصون مختلطين، اي رجالا ونساء. فاذا بدأ الرجال في الرقص فانهم يؤلفون حلقة او نصف دائرة، حسب كثرة الراقصين. ويكون الايقاع على صوت «زورنا ودهولا» (القرناطة وطبل) او «شبابة» او مطبق (مزوج)، واحد يغني والبقية يردون عليه.

فاذا ارادت شابة ان تنزل وتنضم الى حلقة الراقصين فانها تدخل بين قريبين لها، اخيها او زوجها او ابن عمها فتمسك بايديهم - واذا لم يكن في حلقة الراقصين من يقرب لها فلا ترقص، الا اذا كان دخولها بين سيدة وسيدة، وهكذا يستمر الرقص من نصف

ساعة او ساعة او اكثر. واذا كان يوم عرس تزغرد النساء للراقصين.

ويرقص الشبان بمناسبات عديدة عدا ايام الاعراس.

الغنــــاء

لغة اهالي تلكيف «سورث» ولكن الغناء عندهم غالبا مايكون بغير لغتهم العامة المذكورة، اي انهم يغنون بالعربية علاوة على وجود بعض الاغاني بلغة سورث. وكثيرون منهم يغنون «العتابة» و «النايل» وقليل يغنون بالكردية.

الحصـــاد

من المواسم المفرحة المبهجة عند اهالي تلكيف، موسم الحصاد. لانه يوم جمع المؤونة. يفرح فيه الفلاح صاحب الزرع والاجير الفاعل الذي يحصد بالاجرة المناسبة في هذا الموسم.

والاهالي لا زالوا يستعملون المنجل القديم في حصد الزرع ولكن بطريقة فيها بداعة ومهارة تسمى عندهم «البكرة» بحيث يصطف عشرون حاصدا او اكثر او اقل صفا واحدا وفي يد كل منهم المنجل واضعا «القوانيغ» باصابع اليد اليسرى -وهي عبارة عن اقماع من جلد او «تنك» في رؤوسها مسامير طويلة تلبس بالاصابع لكي تمنع خطر شفرة المنجل عنها وتقبض على حزمة كبيرة او باقة من السنابل المقطوعة مع القصل (قصبها)- فيمد الحصدة مناجلهم ذات اليمين وذات الشمال لحصد السنابل فتتحرك اياديهم بصورة منتظمة كلهم سوية، وفي اثناء ذلك ينشدون اناشيد واغاني مطربة حماسية فيكون منظرهم جميلايفوق الوصف. والطريقة المذكورة خاصة بالقرى الشمالية. ويستمرون حانين ظهورهم وهم يحصدون نحو ربع ساعة او اكثر الى ان يصلوا الى الطرف الثاني من الحقل.

ويقدم الفلاح التلكيفي صاحب الزرع افضل طعام للفاعل ايام الحصاد. وهذا الكرم انفرد به اهالي تلكيف دون غيرهم حتى ان الفعلة من قرى واماكن بعيدة يقصدون تلكيف

في موسم الحصاد لهذا الكرم والطعام اللذيذ.

صوم الباعوث

الباعوث كلمة كلدانية معناها الاسترحام والاستغفار. وصوم الباعوث فرضته الكنيسة الكلدانية على المسيحيين من بقايا سكان نينوى، او الآشوريين. وهو صوم يونان النبي الذي فرضه على سكان نينوى لما غضب الله على المدينة. فلما تاب الاهالي رجع الله عن غضبه وتحنن على اولئك الوثنيين فلم يقوّض مدينتهم. ففرض الصوم المذكور على المسيحيين سكان مابين النهرين. وصوم الباعوث ثلاثة ايام تقع في الاسبوع الاول من الاسابيع الثلاثة التي تسبق الصوم الكبير من كل سنة. والقصد من اشارتي هنا الى صوم الباعوث ان اهالي تلكيف يعتبرون هذا الصوم اهم صوم عندهم، سواء في تلكيف او عند الذين هم خارج تلكيف، بلدتهم. فالجميع يحافظون عليه بدقة حسب وصايا الكنيسة حتى ان الذين لا يتمسكون ببعض فروض الكنيسة يحافظون على صوم الباعوث كأن المسألة قومية مثلما هي دينية. والبعض يصومون ثلاثة ايام متواصلة بلا اكل ولا شرب كما فعل سكان نينوى لما انذرهم الله على لسان النبي ان يتوبوا عن خطاياهم.

حل المنازعات بينهم

كان اهالي تلكيف، في حكم الرؤساء، اي قبل ان تتدخل الحكومة في دعاواهم وخصوماتهم. كما كان بنو اسرائيل في حكم القضاة. اذ كانت جميع الاختلافات والمنازعات بين رجل وآخر تحل من قبل رئيس المدينة او الكاهن الاكبر. ولم يكن بعد حكم الرئيس «استئناف» او «تمييز» فقوله كان الفصل بين الطرفين المتنازعين فكان يقضي بايفاء الدين او بالغرامة او بالتعويض والجزاء على المعتدي، ومثل غير ذلك من المشاكل والقضايا التي تعرض على المحاكم اليوم.

واكثر القضايا او الخلافات كان يقضى فيها بالتحكيم امام عقلاء المحلة او كاهن

خبير. وقد ازدادت الخصومات والمنازعات بين الاهالي منذ اتصال الناس برجال الحكومة فانهم على اتفه خلاف اخذوا يلتجئون الى المحاكم الرسمية. والرأي العام عندهم فوق كل قانون او نظام فعلى كل انسان ان يراعي شعور الناس ويحترم الآخرين فاذا شذ عن الاكثرية فلا يجد من يساعده او يوافقه فالذي يتمكن من استمالة رأي الجمهور كان هو الزعيم الحقيقي بينهم. والانسان العادل في حكمه واقواله يجد من المساعدين كثيرين بينهم. وهم يذكرون اهل الفضل بينهم بالاحترام دائما. ولا ينسون احسان الذين احسنوا الى المجتمع وخدموا المصلحة العامة بل يوردون اخبار المحسنين مقرونة بالثناء.

صورة ناطقة لشخص مسن (يلف) سيكارة

القسم الثاني

الفصل الاول

اهالي تلكيف في الخارج - الرفاه والضيق - عساكر السلطان الاعانات وبدل العسكرية - اسباب الهجرة الى البلدان الاخرى - ازدياد السكان وتضخم عدد العائلات

اهالي تلكيف في الخارج

ساذكر فيما بعد الاسباب التي حدت باهالي تلكيف الى الهجرة وترك مسقط رأسهم والتغرب في شتى البلدان. والان اذكر ان سكان هذه المدينة اصبحوا في القرون المتأخرة من اكثر الناس ريادة وتنقلا في الجبال والسهول وارتياد المدن والامصار في طلب المكسب والرزق. وقد تعودوا على الاسفار قوافل ومنفردين، وذلك لنقل الاموال او بيع المحصولات او جلب البضائع من بلدان بعيدة. وقد كانت قوافلهم تصل الى وان وبتليس واورميا وسعرد وجزيرة ابن عمر وماردين وحتى ديار بكر ودشت موش، في كردستان وحدود الاناضول. وفي الجنوب كانوا ينحدرون الى اربيل وكركوك والسليمانية. والى تللعفر وسنجار وغيرها من القرى والقصبات في البرية.

وقد تكلمت سابقا عن صعوبة الحياة والمعيشة في مدينة تلكيف المحاطة بالعشائر والقرى حيث كان يحوم حولها رجال العصابات وقطاع الطرق من اهل السلب والنهب. وقد ذكرت هناك انهم تعودوا حياة الشدة والقتال مع المجاورين والغرباء من اللصوص دفعا للاذى واحتفاظا بكيانهم ومحافظة على اموالهم. فكانوا لا يبالون بعواقب الامور عند الذب عن انفسهم، اذا جرحوا او قتلوا من كان يحاول قتلهم او سلبهم الا ان اضطرارهم للتجول خارج بلدتهم في سبيل المتاجرة والمقايضة في الاموال والمحاصيل اضطرهم الى

ترك القتال والمقاومة، بل اضطروا الى ترك السلاح وحمله. فاذا ساروا قوافل الى الخارج لم يحملوا معهم غير العصي لسوق الدواب. واذا اعترضهم اللصوص في الطريق، دافعوا عن انفسهم واموالهم بقدر المستطاع بالتي هي احسن متحاشين قتل احد المعتدين خوفا من مغبة الامر ومن اخذ الثأر. الا اذا كان اللصوص او الغزاة غرباء عن المنطقة التي يجري فيها القتال، فكانوا يدافعون عن انفسهم دفعا للشر، ما امكن. ولم تكن البلدة تلكيف نفسها مطمح الانظار. وربما كان اجتماع هذا المقدار من السكان في منخفض من الارض كما هي ارض تلكيف، عن حكمة من قبل سكانها الاولين، حتى يكونوا بعيدين عن الانظار. وقد رضوا ان يفلحوا اراضي لا تجود بنفع الا اذا جادت عليها السماء بمطر، بعيدين عن النهر ومنافعه العظيمة.

الرفاه والضيق

كان الشرط الاول لرفاه مدينة تلكيف وجود الامن في البلاد. لانهم كانوا، ولازالوا، اهل جد وعمل. وحالتهم كانت تتحسن او تسوء تبعا لوجود حكام عادلين او طغاة في البلاد.

وهكذا كانت حالة جيرانهم المستوطنين في القرى المحيطة بهم. وقد عاشوا في امن وسلام مع جيرانهم قرونا طويلة. والوقائع التي ربما وقعت لهم مع هؤلاء كانت وقائع فردية كما كانت الحالة في المملكة العثمانية في ذلك الزمن من اختلال أمن مرة وسيادته مرة اخرى. وكل ذلك كان يتوقف على شخصية الوالي وادارته. فاذا كان حازما شديدا ساد الامن واختفى الاشرار. وبخلاف ذلك كان يضطرب حبل الامن، وتكثر حوادث القتل والسرقات. واعظم ظلم وفزع وقع على اهالي تلكيف والقرى الاخرى كان في ايام محمد باشا الراوندوزي منذ ١٠٥ سنوات. فقد ذعر الاهالي خوفا من رجاله الذين كانوا ينهبون ويسلبون ويقتلون كل من صادفهم وقاومهم. فلما مر ذلك الطاغية في تلكيف اغلق الاهالي ابواب بيوتهم في وجوههم. وقد عبث رجاله، الذين لم تستطع الحكومة مقاومتهم، بجميع القرى التي مروا بها في تلك الجهات.

ووقع مثل ذلك في فترات عديدة عندما كان يختل الامن في سالف الزمن فكانت المظالم تقع على القرى الآمنة، خاصة المكشوفة منها والواقعة في السهول.

عساكر السلطان

من المظالم التي كانت تقع على اهالي مدينة تلكيف ماكان متأتيا من اعمال الجنود والجندرمة او عساكر السلطان الذين كان الاهالي يدعونهم «روما» فكان اذا مرت كتيبة او فرقة بالمدينة ترهق الاهالي الفقراء بمطاليبها من الاكل والشرب والعلف لخيلها وبغالها. وقد كانت مدينة تلكيف عبارة عن محطة لقوافل الجنود بين الموصل والجبل لكل غاد وقادم منهم.

الاعانات وبدل العسكرية

لم يكن للمسيحيين الحق ان يخدموا في الجندية قبل اعلان الدستور في المملكة العثمانية. فكانت الحكومة تستوفي «بدل العسكرية» دراهم من الاهالي هذا عدا الاعانات الاخرى التي كانت تسمى «العطاء». فاذا كانت حالة الاهالي مترفهة والسنون سنو الخيرات كانوا يقدمون هذه الاعانات عن طيبة خاطر ومن دون صعوبة. واما في السنين التي تمحل الارض ويحل القحط فان الاهالي كانوا يقاسون الشدة ويقعون في حالة الضنك من جراء تلك الاعانات المكررة التي كان اكثرها يذهب الى جيوب الحكام والموظفين. وقد كانت الاعانات المذكورة المفروضة عليهم فوق طاقتهم.

اسباب الهجرة الى البلدان الاخرى

ان الاراضي التي يفلحها ويزرعها اهالي تلكيف قليلة غير كافية بالنسبة الى السكان الذين كانوا يتكاثرون ويزدادون مع تعاقب السنين. وكان منهم من يزاول صناعة

او عملا آخر غير الفلاحة لقلة الاراضي اذ لم يكن كل وقته يستغرق في مهام الفلاحة. واكثر الاعمال التي كان يزاولها الفلاح، عدا الفلاحة، نقل غلاله الى الجبال او المدن الاخرى في السهول وبيعها او مبادلتها بسلعة اخرى. فكانت القوافل تدخل وتخرج من تلكيف بالعشرات كل يوم في اشغال المقايضة او تحميل الدواب بالاجرة. وكانت هذه الاعمال تتشعب حتى كان منهم من يخرج بمفرده او كان الافراد يؤلفون جماعات يسيرون معا الى الامصار البعيدة. وبحكم هذا التجول والتنقل كانوا عرضة لاطماع العصابات وقطاع الطرق خارج ديارهم، كما كانت الحالة مع غيرهم في تلك الايام التي فقد فيها حبل الامن. ولم يفدهم حمل السلاح شيئا لان المقاومة في اراضي بعيدة عن وطنهم كانت تجلب الضرر عليهم اكثر من امكان دفع الشر عنهم. وفي الاماكن التي فقد فيها الامن كانت تسلب منهم دوابهم وتنهب اموالهم وكثيرا ماكانوا يقتلون اذا ابدوا مقاومة، بل كانوا يقتلون بالفعل اخفاء للجريمة اذا عرفوا اللصوص خوفا من رفع الشكوى الى الحكومة. فكانوا والحالة هذه اذا ربحوا شيئا او ترفهوا قليلا من وراء هذه المتاجرة والاعمال المتعبة تذهب هذه الارباح الى ايدي قطاع الطرق، فيخسر احدهم في ساعة واحدة ماكسبه في عدة شهور. وكان الواحد منهم يندر ان ينجو طول السنة من الوقوع مرة او اكثر من مرة في ايدي اللصوص الذين كانوا يسلبون امواله ودوابه ودراهمه وثيابه في ساعة واحدة.

اضف الى ماتقدم من الاسباب آفات الزروع من «سون» وجراد و «گاصوص» ويرقان وما اليها من الآفات الطبيعية. ولما كان نمو الزرع عندهم يعتمد على المطر كان اذا انحبس المطر تسوء حالة الفلاح ويحصل غلاء في البلد. فمن هذه الحالات والاسباب المتقدمة كان ضعيف الحال عندهم يضطر الى بيع قطعة ارض من اراضيه ليستعين بالمال على تمضية ايام القحط والضيق. فتعلموا بذلك الصبر والجلد على مقاومة الفقر والوقوف في وجه معاكسات الزمن ونكباته ولكن الى حد معلوم. فاذا رأوا من الحكمة مداواة الفقر بالصبر واحتمال البلايا بالتسليم الى الله، فالذل والاضطهاد وسلب اموالهم في الطرق كانت صعبة الاحتمال. فمن هذه الاسباب،مجتمعة، نشاهد انفجارا، هو مانسميه بالهجرة الى الخارج والتغرب الى البلدان النائية والقريبة. ولما كان اهالي تلكيف من رواد الامصار كما

كان الفينيقيون من رواد البحار، هؤلاء بسفنهم واولئك بقوافلهم، سهل عليهم هجر وطنهم والسفر الى البلدان الاخرى في طلب الرزق. لذلك رأيت من فائدة المطالع، لاسيما متتبع التاريخ، ان اتوسع في البحث عن احوال المهاجرين من تلكيف الى شتى الامصار كما سيأتي.

ازدياد السكان وتضخم عدد العائلات

ومن الاسباب العديدة غير الاسباب المذكورة آنفا، التي حملت اهالي تلكيف على ترك السكنى في بلدتهم، ازدياد السكان وتضخم عدد العائلات، فاذا كان لدى الفلاح صاحب الارض منهم مئة فدان، مثلا من الاراضي، واذا كان له من الاولاد اربعة او خمسة فان المئة فدان تصبح خمسة اقسام فيكون نصيب كل ولد عشرين فدانا. وهذا يقتسمها بين اولاده فيما بعد وهكذا الى ان تتضاءل القسمة ويصبح بعض الناس ولا ملك لهم ولا اراضي يفلحونها. وقد قلت ان اساس العمل في هذه البلدة هو الفلاحة. واراضي الفلاحة قليلة لا تكفي لسد حاجة السكان.

الفصل الثاني

بداية الهجرة - الاعمال التي زاولها التلكيفيون في المدن التي هاجروا اليها - في الاهواز - في البصرة والعشار - في اطنه - في اميركا

بداية الهجرة

في اواخر القرن الثامن عشر هجر تلكيف بعض الرجال من سكانها الى الخارج، من جراء الضيق الذي تكلمنا عنه، وفي طلب الرزق والمعيشة. فمنهم من سافر الى بغداد ومنهم الى غيرها من المدن حيث يجد طالب العيش بابا للرزق. وكان يطول السفر الى الخارج في اول الامر بضعة شهور فاذا سمع المتغرب ان السنة جيدة مقبلة، كان يرجع الى اهله سريعا. والبعض كان يسافر الى الخارج، اذا لم يتمكن من جمع مؤونة السنة في الصيف، وذلك للاشتغال وتحصيل القوت او جمع شئ من المال فاذا آن وقت الحصاد اسرع راجعا الى وطنه واهله اذ كانت ايام الحصاد عندهم، خاصة العمال الفقراء، ايام خير وبركة للفلاح صاحب الزرع وللاجير العامل بكتفه.

والذين تغربوا في بادئ الامر في تلك السنين السوداء ورجعوا الى اهلهم، ولو بالمال اليسير، صاروا سببا لفقراء آخرين الذين تشجعوا على التغرب والسفر ورادوا البلاد سعيا وراء العمل. وقد تعود البعض السفر فالرجوع الى الوطن الى ان كان القرن التاسع عشر. فبعد ان كان الذين يسافرون الى الخارج كل سنة يعدون بالافراد صاروا يعدون بالعشرات.

وبعد منتصف القرن التاسع عشر كان اذا رجع احدهم الى وطنه وقارن بين المعيشة في بلدته التي هي معظم ايام السنة ناشفة يابسة والمعيشة في المدن الكبيرة المتنوعة الاشغال والاسباب والمتوفرة الارزاق والحاجات يأخذ معه عائلته، اي زوجته واولاده فيرجع الى حيث العيش سهل يسير.

واكثر هذه المدن التي هاجر اليها اهالي تلكيف كانت مدينة بغداد. وذلك لاسباب منها انها قريبة من «ماثا» اي البلدة لانها لم تكن تبعد الا مسيرة بضعة ايام لا تتجاوز العشرة كان النزول اليها بواسطة الطوف «الكلك» على نهر دجلة والرجوع الى «الماثا» تلكيف بواسطة قوافل تسير بين بغداد والموصل بانتظام. والسبب الاخر هو ان عائلات كثيرة مسيحية كانت تقطن بغداد من ايام العباسيين وبعدهم فغادرتها في القرون المتأخرة لاسباب لا محل لذكرها هنا فسكنت تلك العائلات في بعض القرى والقصبات من شمال العراق ومنها دخلت تلكيف. وبعد مدة لا يعلم مداها، رجعت على هذه الكيفية الى بغداد. والسبب الاخر هو ان من كان يتغرب عن اهله ويذهب الى البلاد الغريبة كان اهله واقرباؤه يبكون عليه كانه في حكم الميت. ولا حاجة الى ذكر السبب مادمنا نعرف وسائط النقل والتنقل في تلك الايام وامر المكاتبة بين الغريب واهله في الوطن. هذه كانت الاسباب في تجمع اهالي تلكيف في بغداد اكثر من سواها من المدن نظرا الى ظروف ذلك الزمن.

الاعمال التي زاولوها في المدن

اهالي تلكيف اقوياء البنية اشداء تعودوا على الاعمال التي تتطلب القوة والصبر، كما هي حالة الفلاح. وقد مر القول ان الذين هاجروا في بادئ الامر لم يكونوا الا من فقراء الناس في البلدة ومن الكادحين. فلما هاجروا الى المدن الكبيرة كانت الاعمال التي زاولوها غير ذهنية اي اعمالا يدوية كما يشتغل الرجل العادي بكتفه. والفلاح بسيط ساذج في طبيعته وبيئته فلم يكن باستطاعة مثل هؤلاء مزاحمة ابن المدينة في الاعمال والمهن الراقية والصناعة التي تنفع اهالي المدينة وتزودهم بالكماليات لذلك كانت الاعمال التي زاولها هؤلاء المهاجرون الغرباء اعمالا يزاولها الرجال العاديون. وقد صادف ان تكون اول هذه الاعمال الملاحة في النهر. ففي اوائل هجرة اهالي تلكيف الى بغداد صادف

مخر بعض المراكب في نهري دجلة والفرات لشركة اجنبية هي شركة بيت لنج. فمست الحاجة لتمشية العمل في المراكب الى رجال اشداء اقوياء اكفاء لهذه الاعمال فدخل كثيرون في اعمال الشركة المذكورة فكانوا اول بحارة او نوتية في تلك المراكب.

وكان للانكليز مركب حربي صغير اسمه «كمت» اي المذنب في خدمة القنصلية الانكليزية في بغداد فكان بحارته من اهالي تلكيف.

وقد استخدمت الحكومة العثمانية بضعة مراكب كبيرة في نهري دجلة والفرات ايضا اتخذت البحارة لها من التلكيفيين اذ لم تجد اكفاء للقيام بمثل تلك الاعمال الا هؤلاء، فكانوا خير رجال للاعمال البحرية.

في الاهواز

وعندما اخذ الانكليز امتياز النفط في ايران ذهب كثيرون من اهالي تلكيف الى الاهواز. ولم يكونوا هناك عمالا عاديين بل كان منهم من دخل في الشركة في اعمال صناعية ومنهم من عينوا كتابا ومراقبين في مصالح تلك الشركة. وقد هاجرت الى الاهواز عائلات كثيرة ومنهم من شيد الدور هناك وفلح الارض. وقد رأوا مشابهة بين بلدتهم (تلكيف) وبلدة الاهواز فاتخذت عائلات كثيرة سكناها في تلك البلدة. وراقتهم الاقامة هناك اكثر لما يعلمونه من ان هذه البلدة كانت مسيحية وفيها آثار البيع والكنائس وقد استشهد فيها كثيرون من المسيحيين في القرون الاولى.

وهكذا ظلت الاهواز او ناصرية العجم مهجر اهالي تلكيف فكانوا يذهبون من بغداد اليها او يسافرون اليها رأسا من تلكيف. الا ان عدد العائلات هناك تقلص في السنين الاخيرة، وخاصة بعد الحرب العالمية وقد ابتنوا لهم في الاهواز كنيسة كما ان احدى العائلات هناك، هي عائلة بيت يوسف اسمر، وسعت اشغالها واعمالها في بلاد ايران.

في البصرة والعشار

وكان ابناء تلكيف يسافرون الى البصرة من بغداد ايام موسم التمر. وذلك في اواخر القرن الماضي. وقد ازداد عددهم في اوائل القرن العشرين. واخذت بعض العائلات من ذلك الوقت تسكن في العشار المدينة الجديدة التي اخذت بالنمو والتوسع والعمران في العقود الاخيرة من السنين فملكوا الدور والاراضي. وصارت لهم اشغال تجارية كثيرة كما ان قسما كبيرا من ابنائهم شغل وظائف مهمة في الشركات الاجنبية والميناء وفي دوائر الحكومة. ويؤلف الآن التلكيفيون اكثرية ساحقة بين المسيحيين في البصرة والعشار والماركيل المدينة الحديثة على شط العرب. ويبلغ عدد النفوس من هؤلاء في البصرة اكثر من الفي نفس. وقد بنوا لهم كنيسة في العشار هي اجمل واعظم الكنائس في البصرة.

في اطنه

وكانت كيليكية، فيما مضى، البلاد التي تناسب كفاءات ابناء تلكيف، فسافر الى اطنه بعض الشبان في اواخر القرن الماضي واوائل القرن الحالي. لان الاشغال في اطنه كانت عبارة عن فلاحة الارض ومايتبع ذلك من الاعمال الزراعية. وبعد ان كان هؤلاء الغرباء الذين نزلوا في تلك الولاية يعملون بكتفهم صار لبعضهم املاك من اراضي وقصور واطيان وفبارق وادارة كبيرة، بعد مدة من الزمن. وبعضهم صارت لهم املاك واسعة وفبارق كبيرة مثل بيت مراد آغا الذي حصل على رتبة الباشوية لشهرته ورفعة مقامه. وقد تفوق هؤلاء على ابناء البلاد الاصليين بالاعمال وحسن الادارة. الى ان وقع الانقلاب العثماني، عندما أكره السلطان عبد الحميد على التنازل. وصدر امر بذبح الارمن، فذهب الاخضر مع اليابس في اطنه وقتل من ابناء تلكيف ٤٢ شابا من خيرة الشبان، ذهبوا ضحية الاضطهاد في تلك المجزرة البشرية. هذا عدا آخرين كانوا قد استوطنوا هناك واصبحوا من ابناء تلك المدينة.

وللقس اسطيفان الالقوشي قصيدة منظومة بلغة «سورث» هي محزنة ومؤثرة يرثي بها اولئك الشهداء الابرياء الذين قتلوا في مذبحة اطنه، اذ كان وكيلا بطريركيا في تلك المدينة حينما وقعت المجزرة.

وعقبت مذبحة الارمن مذبحة اخرى لم ينج منها، لسوء الحظ، هؤلاء المنكوبين، بل قتل منهم كثيرون جزافا وذهبت دماؤهم هدرا وذلك عند انسحاب الجيش الفرنسي من كيليكية واقتصاص الاتراك من الارمن عندما رجعوا واحتلوا تلك الولاية، فوقعت نكبة اخرى على البقية الباقية. فساءت احوالهم ورجع من رجع منهم الى وطنه وخرج البعض على اثر خروج الحملة الفرنسية فسكنوا في لبنان وسوريا. وتلاشى وجودهم تماما من اطنه.

الهجرة الى اميركا

لم يجرؤ افراد مدينة او قبيلة في الدنيا على اقتحام المصاعب وريادة الامصار والاقطار البعيدة، كما فعل ابناء تلكيف. فانهم قبل زمن بعيد انبثوا في العالم المعروف قديما الى ان تحولت انظارهم الى اميركا. فمنذ اوائل هذا القرن سافر منهم بعض الافراد الى اميركا ولكنهم لاقوا صعوبات كثيرة في بادئ الامر. اولا لعدم معرفة اكثرهم اللغات الاجنبية. وثانيا لعدم المام الذين سافروا الى الخارج بطبيعة البلاد وجغرافية البلدان واحوال العالم الخارجي، مثل بلاد اوربا واميركا. وكانت اجور السفر باهظة جدا حتى كان الذي يسافر من تلكيف الى اميركا يمضي عدة شهور في الطريق فيصرف مبالغ طائلة الى ان يصل الى تلك البلاد النائية. لكن رغما عن كل الصعوبات اوصل بعض الافراد المغامرين انفسهم الى تلك القارة التي كانت تسمى «الدنيا الجديدة».

فبعد ان رأي البعض من هؤلاء انفسهم في ذلك المجتمع وبعد ان وطأت اقدامهم ارض البلاد، كتبوا من هناك الى اصدقائهم واقاربهم يصفون تلك البلاد وغناها وجمالها وارباح العامل فيها حتى اغروا كثيرين غيرهم في الهجرة الى اميركا، فسافر غيرهم وغيرهم حتى خبروا بانفسهم ماسمعوه عن البلاد المذكورة. ثم كتب هؤلاء بدورهم الى

اصدقائهم واهلهم واصفين تلك القارة بشتى الاوصاف المحببة الى من يطمع بالمال والحرية. وكانت الدراهم تنهال على بعض العائلات في تلكيف مرسلة من اولئك الذين زاولوا اعمالا كانت تدر عليهم ارباحا طائلة بالنسبة الى فقر بلادهم فكانت الحوالات الكبيرة تغري الشبان المغامرين حتى هاجر الى هناك كثيرون، غير الاولين، من الذين كانوا يعيشون في وطنهم في يسر ورخاء.

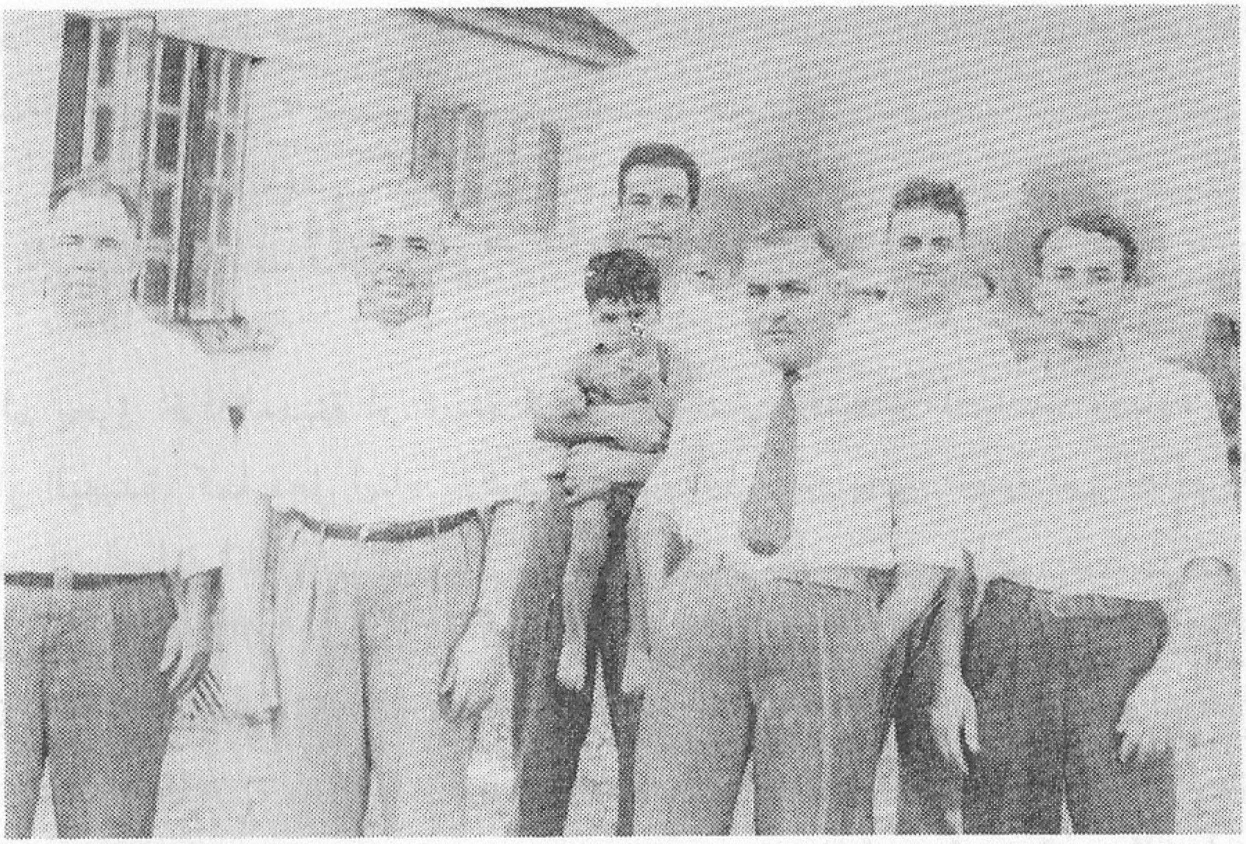

بعض ابناء الجالية المهاجرين الى اميركا ويظهر في مقدمتهم المؤلف عند زيارته لهم

اما المهاجرون الاولون فقد كانوا يبدون مساعدات كبيرة لكل راغب بالهجرة. فاذا تمكن احدهم من السفر من تلكيف الى مارسيليا في فرنسا مثلا، ولم يكن بامكانه متابعة السفر لقلة المال، ارسل اولئك له مايحتاج من نفقات الطريق واجرة المركب الى ان يصل الى اميركا. واذا وصل عند اصدقائه كانوا ينفقون عليه الى ان يجد له عملا. وهكذا شجع بعضهم بعضا في هذه الهجرة واخذوا يفتشون عن الاعمال في مختلف البلدان من تلك القارة العظيمة فمنهم من استقر في بلاد المكسيك ومنهم من حل في الارجنتين او البرازيل، ومنهم من ذهب الى الولايات المتحدة او كندا.

واقتصرت اشغالهم في اول الامر على الاستخدام في المعامل والفبارق لكن بعد ذلك اخذوا يتعاطون البيع والشراء في التجارة الحرة كفتح المخازن وما اشبه. واغلبهم فتحوا في الولايات المتحدة حوانيت ودكاكين «گروسري» لبيع الفاكهة وبيع الاطعمة. وقد تركوا المعامل ولاقوا نجاحا في هذه المهن الحرة.

وقد تزوج كثيرون منهم نساء من اهل البلاد او من الغرباء مثلهم وبعضهم كانت زوجاتهم من بنات الوطن او جاءوا فتزوجوا في بلدتهم وعادوا بزوجاتهم الى اميركا. ولما صار لهم اولاد ادخلوهم المدارس ودور الصناعة فنبغ فيهم كثيرون في الصناعة والطيران والاعمال التجارية. ومنهم من اصبح صاحب مزرعة كبيرة او معمل من المعامل الصناعية.

وكانوا في اعمالهم ومعاطاتهم في تلك البلاد، ولازالوا، عنوان النزاهة والاستقامة. ولما دخلت الولايات المتحدة مع الحلفاء في الحرب العظمى انخرط بعض منهم في سلك الجندية فاظهروا كفاءة وولاء للبلاد التي نالوا حق التجنس فيها.

واكثر اولئك المهاجرين لم يقطعوا علاقتهم بوطنهم بل انهم لازالوا يمدون اهلهم واقرباءهم بالمساعدات المالية. وليس ذلك فقط بل ان ابناء تلكيف المتغربين في بلاد الغرب، وفي القارة الامريكية، برهنوا في مواقف عديدة انهم اهل فضل وكرم، اوفياء لبلادهم، مخلصين لابناء جنسهم. فقد كانوا اسرع من يلبي نداء الوطنية في السخاء والكرم بمساعداتهم العظيمة التي ادوها لبلدتهم ولابنائها في اماكن اخرى مثل الاعانات التي قدموها في اشادة كنيسة تلكيف، وكنيسة الكلدان في العشار، وغير ذلك من المساعدات التي يذكرها لهم اهالي تلكيف بالتقدير والثناء.

وقد رجع البعض من المهاجرين من اميركا بعد ان كسبوا بجدهم ونشاطهم مبالغ من المال لا بأس بها. ففضلوا السكنى في الوطن مكتفين بما جمعوا. لكن اكثرهم لم يلبثوا ان رجعوا مرة اخرى الى تلك البلاد، يحملهم الشوق والحنين الى بلاد الرزق والخير العميم، الى بلاد الحرية والجمال، الى بلاد اميركا وخاصة الولايات المتحدة، حيث بهرت المدنية ابصارهم، تلك المدنية التي فاقت كل مدنية قبلها، بالعلم والفن والاختراعات والانظمة والعمران مع مافي تلك البلاد من الوسائط الكثيرة من تثقيف النفس وتربية الاطفال في المدارس ووسائل الصحة والرفاه. فكان الشوق يحدو هؤلاء الى تلك البلاد فسافروا زرافات ووحدانا...

ولولا العقبات التي وضعتها الولايات المتحدة في وجه المسافرين لسافر عدد كبير آخر غير الاولين ولخسرت بلدة تلكيف من ابنائها اكثر من العدد الذي تفيض به في الزيادة العادية، نتيجة الولادات.

ويقدر عدد التلكيفيين في اميركا بالف نفس نصفهم في الولايات المتحدة.

سيدة تلكيفية مع اطفالها في اميركا وهي مثال الفضيلة والامومة الصالحة.

الفصل الثالث

الجالية التلكيفية في بغداد - بعض صفات ابناء تلكيف

زمن الهجرة الى بغداد

كلمة تلكيفي شاملة لجميع اهل القرى

كفاءات نادرة - اخلاق اهالي تلكيف وميولهم

الجالية التلكيفية في بغداد

ان اهالي تلكيف، في اوقات مختلفة، كانوا يرودون الاقطار والامصار كما مر، لعل الذي تضيق سبل الرزق في وجهه، وهو في بلده، يجد مخرجا لحالته في بلد آخر. ومن الطبيعي ان يميل الواحد منهم الى الهجرة اذا كانت احوال بلدته سيئة، في اكثر السنين، كما صار معلوما. لذلك يوجد في الاقطار البعيدة والقريبة بعض الافراد خرجوا من تلكيف اما ليعودوا اليها اذا تحسنت الاحوال فيها او ان يذهبوا الى بلد فيستوطنون فيه اذا طابت لهم الاقامة. لذلك يجد متتبع اخبار سكان تلكيف اناسا من اهالي هذه المدينة في حلب والشام وبيروت ومصر، وفي طهران من بلاد ايران، وغيرها وحتى في عواصم اوربا توجد عائلات كانت في القديم تقيم في بلدها الاصلي، تلكيف.

اما في العراق فانه توجد عائلات كثيرة في مختلف مدنه، مثل البصرة والعمارة والناصرية والكوت وكركوك وغيرها تعد بالعشرات وبعضها بالمئات. اما في بغداد فان الجالية التلكيفية اكبر من اية بلدة او مدينة اخرى. بل ان عددهم يزيد على اية جالية من قرية او بلدة من قرى العراق الاخرى دخلت واستوطنت بغداد. ومن العجيب ان يكون عدد ابناء تلكيف في بغداد ضعفي ماهو موجود منهم في تلكيف نفسها.

ومع ان عائلات كثيرة منهم سكنت بغداد منذ قرن او اكثر، فانها حافظت على اصلها، فلم تنصهر مع غيرها ولم تهمل لغتها الكلدانية. وكانت في آدابها واخلاقها ابية

تترفع عن مفاسد المدنية ومافي المدينة من الخلاعة والتهتك، محتفظة بسذاجة الريف من حيث متانة الاخلاق، وبمعارف المدينة من حيث التمدن. لذلك احببت ان اعقد فصلا خاصا عن احوال الجالية التلكيفية في عاصمة العراق.

بعض صفات ابناء تلكيف

قبل ان اصف حالة الجالية «التلكيفية» في بغداد من حيث الآداب والاخلاق والذكاء والكفاءة والصدق والامانة والعلوم والمعارف والاعمال وعلاقة هؤلاء ومعاملاتهم مع المجتمع، يجدر بي ان اذكر طرفا من هذه الاوصاف في موطنهم الاصلي واعني به بلدة تلكيف او مدينة تلكيف، كما اطلقت التسمية عليها. فقد ثبت بالادلة التي اوردتها، حسب مالدي من المعلومات، ان سكان تلكيف هم سكان نينوى الاصليون كما ان تلكيف وريثة نينوى وبقية من بقاياها. فاهالي تلكيف هم من ذلك الشعب الذي يجري في عروقه دم الملوك والامراء الذين كانوا اسياد العالم في زمانهم. ومع مايجري في دمهم من الرجولة والشهامة والاباء والشمم وعزة النفس، فقد قاسوا الذل والهوان قرونا طويلة، كما قاسى سكان هذه البلاد (مابين النهرين) الذل والهوان على ايدي الشعوب الاجنبية، قرونا طويلة، حتى نسوا تاريخ اجدادهم. وبتحولهم من الوثنية الى المسيحية خضدت الديانة شوكتهم فذهبت عنهم تلك الخشونة التي كان يوصف بها الجندي الآشوري.

فمن هذه العوامل والمؤثرات الناتجة من طبيعة الارض، والاعمال التي يزاولونها، وهي الفلاحة والصناعة المحلية، ومن التأثيرات الخارجية مثل الاضطهادات الدينية في السابق، تكونت اخلاق اهالي تلكيف وتطورت حسب تلك العوامل المذكورة. وعلى مرّ الزمن صبت في قالب خاص هو الطابع الظاهر على حياة ابناء هذه المدينة الصغيرة. فمما ذكر آنفا يمكن اعطاء فكرة صحيحة تظهر لنا حالة السكان بصورة مجملة يفهم منها المتتبع حقيقة ابناء تلكيف.

اذا غضضنا الطرف عن اعمال بعض الافراد الذين لا تخلو منهم امة او شعب او بلدة او عشيرة او قبيلة، من اولئك الاشرار او المجرمين او السراق، الذين لا يخلو قطر من

اقطار الدنيا او بلد منهم، فان اهالي تلكيف من حيث العموم كرماء اسخياء، شجعان، اوفياء، هادئون مسالمون. لهم عزة النفس وهم متصفون بالمروءة والنجدة. رحماء، حلماء، صادقو اللهجة. يكرهون الخداع، ويمقتون الكذب والغدر. يبالغون في صيانة العرض، طاهرو الذيل حتى الرجال فيهم يخجلون من العمل المنكر.

وقد بلغ الكرم فيهم انهم يترفعون من بيع الخبز في بلدتهم للغريب. فكل بيت فيهم يرحب بالجائع والضيف الغريب. فيطعم ويأوي من يقصد بابه من دون سابق معرفة. ولم تبالغ الكاتبة الالمعية «ماريا ترازيا» التي ورد اسمها في هذا الكتاب، حيث وصفت ابناء تلكيف منذ قرن اذ قالت مانصه «ان الصفات التي يتصف بها ابناء هذه البلدة الصغيرة (تلكيف) سوف تمكنهم ان يتفوقوا على جميع مسيحيي مابين النهرين». ولهم طبع معتدل لا يقدمون على عمل الا بعد التروي والتبصر في عاقبة الامور. ومن هذا الحذر الشديد قد تفوتهم فرص كثيرة في اعمالهم، كافراد او كجماعة، من المحتمل ان يحصلوا على النجاح في تلك الفرص لو انهم ينتهزونها في اوقاتها. فمن هؤلاء الذين وصفتهم فيما مر تكونت عائلات الجالية التي تقطن بغداد. ومن البديهي ان يفهم ان الذين هاجروا من بلدتهم الى الخارج كانوا من فقراء الناس، او من المعوزين، او من الشباب المغامرين، الذين آنسوا لذة في احتمال صعوبات الغربة. فبعد ان مهدت بكلمتي هذه عن حالة ابناء بلدة تلكيف فانني ابسط فيما يلي حالة الجالية المذكورة في بغداد.

زمن الهجرة

قبل الدخول في الموضوع ارى ان اذكر هنا الزمن الذي كثر فيه افراد الجالية. فقد كانت اكبر موجة هاجرت من تلكيف الى بغداد سنة الغلاء المعروفة في الموصل بسنة الليرة - اي السنة التي بيعت فيها وزنة الحنطة (وزنة الموصل) بليرة عثمانية ذهبا. واهالي تلكيف يسمونها سنة الوزنة بالمئة - مئة قرش صاغ - وكان ذلك سنة ١٨٧٨م اذ حصلت مجاعة عظيمة في البلاد، اضطر فيها رب عائلة ان يبيع قطعة ارض من اراضيه بكيل من الحنطة او الشعير. والبعض باعوا بيوتهم بشئ قليل من الغلة. والبعض لم يقووا

على احتمال الجوع فهاجروا الى حيث صادفوا عملا تمكنوا من اعالة انفسهم واهلهم.

وقد خلت دور كثيرة في تلكيف من سكانها، كما حصل مثل ذلك في قرى اخرى في منطقة الموصل. ومن ذلك الوقت تعود اهالي تلكيف على الهجرة. فكلما كانت تمسهم الحاجة او يمسهم الجوع وضاقوا ذرعا باحتمال البلايا والنكبات، لجأوا الى الهجرة - الى بغداد والى غيرها من بلاد الله الواسعة.

وعلى اثر انتهاء الحرب الكبرى واحتلال الجيش الانكليزي البلاد، خرجت موجة اخرى من الشبان في طلب العمل وليفرجوا عن كربتهم بعد ضيق ذاقوا مرارته اربع سنوات، سواء من الغلاء او من ويلات الحرب. فضربوا في مناكب الارض مفتشين عن الاعمال، خارج بلدتهم.

وقد امتازت الموجة الاخيرة عن الاولى بان الذين هجروا البلدة هجرها اكثرهم عن يسر، وذلك لانشاء الاعمال حيث يصادفون ربحا اوفر. فمنهم من اشتغل بالالتزامات والمقاولات، ومنهم من انشأ الفنادق والمطاعم او فتح حوانيت او تعاطى البيع والشراء. وقد ربح كثيرون منهم ارباحا طائلة لكن اكثرهم لم يحتفظوا بما كسبوا. ومن طبيعة التلكيفي السخاء والكرم الى حد الافراط. فهو من هذه الناحية يعد مسرفا مبذرا. والصفة المذكورة لا تفارق ابناء تلكيف، سواء في بلدتهم او في الخارج. واغلب ابناء هذا الشعب يجهلون حتى الان قواعد الاقتصاد.

كلمة تلكيفي شاملة لجميع اهل القرى

لقد مر ان تلكيف بلدة صغيرة او قرية كبيرة واقعة في الريف. لذلك فهي تعد ام قرى العراق، وقد دعوناها في هذا الكتاب مدينة او بلدة. ولما كان مركز تلكيف بارزا بين القرى، وخاصة القرى المسيحية، فكل فرد من تلكيف او من غيرها من القرى المذكورة يطلق عليه -في الموصل- اسم فلاح او تلكيفي. وهذا التمييز بين اهل الريف وبين سكان المدن الكبيرة هو ان البعض من سكان المدينة يظنون انهم يزاولون اعمالا هي ارفع من الفلاحة او الزراعة، كما هي الحالة عند اهل الارياف. فكان كل من يستوطن بغداد من

اهالي تلك القرى يدعى «تلكيفيا» وبين هؤلاء من هو من بطنايا، باقوفا، او تللسقف، او القوش، او قره قوش (بغديدا)، او كرمليس او بعشيقا، او برطلة، وغيرها من القرى الشمالية -شمال العراق- وجميع اهالي هذه القرى يتكلمون الكلدانية الدارجة او سورث. حتى ان اليهود المستوطنين في الشمال، يتكلمون سورث، التي يدعوها اهل المدينة (الموصل) احيانا لغة الفلاحين او اللسان «الفلاحي».

وقد اندمج بعضٌ من اهالي تلك القرى، الذين استوطنوا بغداد، مع سكان المدينة الاولين. اما اكثريتهم فقد حافظوا على لسانهم في البيت كما حافظوا على كرامة آبائهم واجدادهم.

كفاءات نادرة

كانت الظروف في جميع الازمنة قاسية على ابناء تلكيف في الداخل وفي الخارج، وذلك بسبب المظالم التي كانت تقع عليهم في السابق. ومن طبيعة المنطقة التي تقع فيها القرى المسيحية في شمالَ العراق، يدرك الانسان صعوبة المعيشة التي يعيشها هؤلاء القوم. وربما كانت هذه الشدائد الحافز لهؤلاء ان يجدوا ويسعوا، اكثر من غيرهم، في كفاح الحياة. ولما احتل الانكليز العراق في الحرب العظمى، كانوا بحاجة الى موظفين يعرفون لغتهم فلم يجدوا من يسد حاجتهم مثل شبيبة هذه الجماعة التي نال اكثرها تثقيفا مدرسيا ويحسن اغلبها لغة او اكثر من لغة واحدة من اللغات الحية. فادخلوا قسما من الشبان التلكيفيين في الوظائف الصغيرة، كما قضت الضرورة.

ولم تتغير الظروف كثيرا مع هؤلاء الذين نزلوا الى ميدان الخدمة العامة. لكن في هذه المنطقة الضيقة ايضا ظهرت فيهم كفاءات لا تظهر الا في شعب موهوب بمواهب طبيعية، وموصوف باسمى الصفات. فكانت الاعمال التي تناط بهم تدار بايدٍ لبقة وادمغة مفكرة، مدعومة بالاخلاص والاستقامة. وقد برهنوا على انهم مثال الوطنية السامية، واسرع الوطنيين في التضحية وانكار الذات، في سبيل المصلحة العامة في العراق.

وفي زمن الحكم الوطني انخرط كثيرون منهم في سلك الخدمة العامة كالجندية

والطيران، مظهرين وطنية صادقة في خدمة بلادهم وحكومتهم. ويؤمل لهم في المستقبل مراكز مهمة لاستغلال المواهب والكفاءات التي امتازوا بها. لكن ذلك لا يتم الا بواسطة التعليم العالي والثقافة الكافية. وهذه الوسائط لازالت ضعيفة عندهم، فرقي اكثرهم لم يتم الا على السعي الشخصي.

ܐܒܐ ܫܡܘܐܝܠ ܓܡܝܠ ܪܒܐ ܝܘܠܦܢܐ ܕܕܝܪܐ ܕܐܠܩܘܫ: ܐܬܘܪܝܐ، ܐܬܪܐ

الانبا شموئيل جميل
صاحب المؤلفات القيمة

اخلاق اهالي تلكيف وميولهم

لكل امة او ملة صفات خاصة بها. ولكل قوم عنعنات ومفاخر يفتخر بها. فالغربي، مثلا، يفتخر بقوميته وبلاده وبما فيها من مدارس ومستشفيات وملاجئ خيرية واختراعات واكتشافات. وتجد مثل ذلك عند البدوي البسيط الذي له الحق ايضا ان يفتخر بما عنده من الشهامة والنخوة والكرم والجود وما اليها من الصفات الكريمة.

ولاهالي تلكيف صفات يمتازون بها وهي التي ترفع قدرهم في اعين من يحتك بهم ويعرف اخلاقهم حق المعرفة. فالتلكيفي اذا شبع اطعم، واذا حكم عدل، واذا تولى امرا انصف، واذا ملك وهب، واذا عاشر اخلص، واذا روى صدق. ومن صفاته النجدة والمساعدة لكل من يستعين به. وهو يؤتمن على كتمان السر. وهو طموح للمعالي. فمادامت الطرق الشريفة مفتوحة امامه فانه يسعى، ابدا، لنيل اعظم مايمكن نيله من المفاخر. وتعلم العلم ونشره بين الآخرين فريضة عندهم.

ومن ميزاتهم اذا ارتقى احدهم وتولى مركزا او منصبا عاليا ينظر الى من دونه نظرة الاشفاق والحنان، كانه مكلف برعاية الضعفاء. والفقراء بينهم يخجلون من الاستعطاء او الاستجداء، مهما حل بهم من العوز والفاقة. فالفقير عندهم يسعى لايجاد عمل له ليكسب خبزه بعرق جبينه وبالطرق الشريفة.

عيوب ونواقص

وبجانب الصفات الحسنة والاخلاق الكريمة فلا تخلو حالة المجتمع في تلكيف من عيوب ونواقص، فالحسد والنميمة وبلبلة الآراء، كاكثر الجماعات في بلاد الشرق، موجودة عند بعض الافراد، ويسود الجهل عقول بعض الآخرين.ومن سوء حظهم ان الرؤساء والوجهاء عندهم كانوا دائما في خلاف وخصام فقلما كان يسود الوفاق بينهم اذا

ماعالجوا قضية لهم عامة او مصلحة مشتركة. وكانوا يرتابون بكل من يتولى معالجة الشؤون العامة، لذلك لا ترى لهم مشروعا مفيدا هاما. وقد تأخر العمران عندهم بسبب عدم اتفاق الآراء في اكثر المسائل. وقد كانت حالة الآباء والاجداد في تلكيف افضل من الازمنة المتأخرة، فبالرغم من تقدم وسائل العمران في عصرنا هذا فلازال التقدم في هذه الناحية بطيئا عندهم. وقد يكون فقر الارض وجدبها وحالة المحيط الاسباب الفعالة في تأخر الرقي في هذه البلدة.

الفراسة والفهم

لابناء تلكيف فطنة وفهم وفراسة عجيبة يمتازون بها عن غيرهم، فهم باشارة واحدة يدركون الغاية. ومن السهل ان ينظر احدهم الى عين شخص ليدرك مافي قلبه.

ومع هذه الفطنة وهذا الفهم والفراسة فهم بسطاء القلب سليمو النية الى حد ان يقع احدهم في شرك المخادع، عن طريق العاطفة، لان لهم قلوبا ترق للرحمة والشفقة سريعا.

ذهنية التطور والتعلم

لكل شعب ذهنية خاصة وعقلية يمتاز بها. أما عقلية ابناء تلكيف فهي مرنة لينة بحيث تقبل الصالح، اذا بدا لها، باسرع مايمكن.

لقد كان اكثر الذين هاجروا من تلكيف الى الخارج اميين او شبه اميين. وكان الذين استوطنوا بغداد من هذا الفريق. فلما رأوا تاخرهم بالنسبة الى اهالي المدينة التي حلوا فيها، كان اول اهتمامهم ارسال اولادهم الى المدارس او ادخالهم دور الصناعات. فكان الاب يقاسي الفاقة ويتجرع مرارة الفقر ويحرم نفسه من طيب المآكل وفاخر الملبس، ليوفر اجرة المدرسة او اثمان الكتب لابنه.

وقد قاسى الآباء ضروب الضنك والضيق في سبيل تهذيب اولادهم. ولم يكن من السهل على الابناء تحصيل العلم اذ كانت جميع الوسائط عندهم ضعيفة. لكن في دم

الطفل التلكيفي قوة مكنونة، فقليل من النور يبعث في نفسه الكبيرة آمالا جساما فيسعى في طلب المعالي ويفتش عن الامور الرفيعة. فكان الطفل من ابناء هذه العائلات المعوزة عبارة عن شعلة ذكاء، اذ لم يكد ينخرط في صف من صفوف المدرسة الا وتفوق على رفاقه، من اية بيئة كانوا. فاصبح اولاد النوتية في المراكب كتابا وصناعا ماهرين. واصبحت بنات المدارس منهم خياطات ماهرات، ونقاشات فنانات، وامهات فاضلات في تدبير المنزل وتربية الاولاد تربية عالية صالحة.

ولو كانت الوسائل عندهم مواتية لفاقوا غيرهم في العلوم والآداب وفي كل شئ صالح. ومن حقائق التاريخ ان اذكر هنا ان اول من نال بين العراقيين درجة الدكتوراه في العلوم هو المرحوم ميخائيل مني، من بيت جمو. ويُعد المرحوم يوسف زارا اكبر مهندس ميكانيكي نبغ بين العراقيين. وقد تعلم كلاهما خارج العراق وعاشا في بغداد معظم ايام حياتهما. وقد نبغ غير المذكورين عشرات آخرون في شتى المناحي.

نشاطات الجالية التلكيفية في المدن التي سكنوها

في الاهواز والبصرة وفي بغداد وفي كل مدينة او بلد نزل فيه ابناء بلدة تلكيف وصاروا فئة لابأس بها عددا، كانوا مثال النشاط ادبيا ومعنويا، فان الشبيبة منهم في بغداد اول من اسس ناديا لنشر الآداب والمعارف بين الشبان للاستفادة من الكتب والمجلات والجرائد والنشاطات الرياضية. وكذلك كانوا في مدينة البصرة والعشار وحيثما وجدوا. فاذا رأوا الظروف مساعدة سعوا لتأليف النوادي والجمعيات خدمة للوطن.

وكان للكلدان في بغداد مدرسة قبل الحرب العامة كان العنصر الاهم القائم بها من ابناء تلكيف، وكانت يد قديرة تدير دفتها هي يد العلامة الكبير الخوري منصور قرياقوز. ولكن لبعض الاسباب نتجت منها حركة ممقوتة للتفريق بين اخوان هم ابناء ملة واحدة في جعل هذا «تلكيفي» وذاك «بغدادي»، فقل شأن تلك المدرسة ونقل الخوري منصور من

بغداد الى العشار. والا لكانت اصبحت تلك المدرسة الان كلية لتهذيب ابناء البلاد.

وهكذا كان نشاط ابناء تلكيف في المدن التي استوطنوها. وقد كانوا اسرع اخوانهم الى مد يد السخاء في المصالح القومية. وكنيسة الكلدان في بغداد تشهد على مقدرتهم، اذ لهم اليد الطولى في تشييدها وبنائها. ومثلها كنيسة الكلدان في العشار وغيرها من الكنائس في العمارة والكوت والاهواز. وكلها ثمرة اعمالهم.

وفي بغداد جمعية خيرية للكلدان تقوم باعمال متواضعة ولكنها جبارة عند التحقق، اذ تنجزها من دون ضجة. ومن تلك الاعمال المباشرة باشادة ميتم لابناء الملة الذي يعد من الاعمال المفيدة الجليلة. وجميع اعضاء الجمعية المذكورة العاملين هم من ابناء تلكيف.

وكان من الممكن ان تكون امور هؤلاء افضل لو كان عندهم رابطة التضامن والاتحاد، اذ يوجد في بغداد وحدها لا اقل من الف شاب منهم لا توجد بينهم رابطة ما، ولا يفكرون بالمصلحة المشتركة وقوة الاتحاد. والا لقاموا بمشاريع كبيرة مفيدة اقلها مساعدة الطلاب منهم لتحصيل العلوم في المعاهد العالية.

والشئ الذي يعوز هؤلاء انه ليس لهم رأس يدير شؤونهم، ولا زعيم ينقادون اليه. وهذا يجعلهم بعيدين عن التكتل والتعاون في المشاريع الاقتصادية. لذلك تجد الفقر يسود اكثر العائلات. وقد قلت سابقا ان ابناء تلكيف مع ذكائهم لازالوا يجهلون قواعد الاقتصاد.

الفصل الرابع

تلكيف في عهدها الحالي

لقد مر ان تلكيف اعظم قرية في العراق -وقد اطلقت عليها اسم بلدة او مدينة- تحتوي على مايقارب ٢٠٠٠ بيت وهي مقسمة الى ١٢ محلة لكل محلة امام ومختار وعضوان يساعدان المختار في الشؤون العامة. وقد اصبحت تلكيف منذ ابتداء الحكم الوطني ناحية فهي مركز وقصبة للقرى العديدة المحيطة بها والبالغ عددها نحو ٨٠ قرية. وهي مقر مدير الناحية وفيها مركز للشرطة ولها بلدية من الدرجة الرابعة ومقر الجميع السراي الفخم الذي شيد في زمن حكومة الاتراك اثناء الحرب الكبرى. ورئاسة البلدية منوطة بمدير الناحية المعين من قبل الحكومة له مجلس مؤلف من اربعة اعضاء ينتخبهم الاهالي.

وفي تلكيف مدرسة ابتدائية تحوي نحو ٤٠٠ تلميذ وروضة للاطفال فيها من الاولاد بقدر مافي المدرسة الاولى. وعدا ماذكر توجد مدرسة للبنات تديرها الراهبات.

ومدرسة البنين الابتدائية المذكورة لا تعد ناجحة بالنسبة للمدارس المتقدمة رغما عن شوق الاهالي في تهذيب اولادهم وذكاء الاولاد ونشاطهم. فالطالب الذي ينتهي من دراسته في المدرسة الابتدائية لا يوجد له مجال للاستزادة من العلم في بلدته اذ لا توجد صفوف ثانوية لتعليم من يرغب في العلم.

ويوجد في تلكيف مستوصف صغير يديره مضمد او صيدلي وليس فيها مستشفى او طبيب. ونسبة وفيات الاطفال عندهم عالية جدا ووسائل الصحة كادت تكون معدومة. وقد كان لهم في السابق بعض «اطباء» غير رسميين يعالجون المرضى على الطرق القديمة اما الان فانهم يحملون مرضاهم الى المؤسسات الصحية في الموصل وغيرها للمعالجة، فيتكبد الاهالي من جراء نقلهم الى الاماكن البعيدة مصاريف باهظة مع مافي هذه الطريقة من الاخطار.

ان المناخ في تلكيف يعد جيداً بنقاوة الهواء وصفاء الجو، معظم ايام السنة. واما وسائط الراحة الاخرى فقد تكون معدومة. واطيب ايام السنة فيها ايام الربيع حيث تسبغ الطبيعة على اديمها الجمال والبهاء، من زنابق الحقل وازهار البر، كأن الجو فيها يعبق شذى وعطرا. فما عدا ايام الربيع فالبلد اجرد قاحل الا من الخضروات التي تزرع على عين تل يمثه وخضر للبطيخ والرقي والترعوز ايام الصيف في الاراضي القريبة والسهلة الكائنة على ضفاف الاودية، واما الفواكه فانها تجلب كل يوم من الجبل في شمال العراق.

وأمرّ جميع الصعوبات المذكورة هي قضية الماء اذ يصاب الاهالي بظمأ فادح عدة شهور من كل سنة. فالاهالي يشربون من ماء المطر الذي يخزن في غدران او صهاريج نحو ثلث ايام السنة، واذا نضبت الغدران يشربون من ماء الآبار. واذا نضبت هذه فانهم يشربون من عين تل يمثه. وهي عين في مائها طعم كبريت لا يمكن شربه الا بعد ان يبيت في الدن يوما واحدا حتى تزول رائحة الكبريت منه. وجميع المصادر والينابيع المذكورة غير نقية. وعين تل يمثه التي تكفي لشرب الاهالي تبعد خمسة كيلومترات عن تلكيف. وكانت العين المذكورة مع قريتها عائدة الى عشيرة من العرب تسمى الطيبين فاشتراها منهم اهالي تلكيف نظرا لحاجتهم الى الماء للشرب. اما اصحاب القرية المذكورة فقد ارتحلوا عنها والحقت اراضيهم بعقار تلكيف منذ اكثر من قرن كباقي القرى الصغيرة الاخرى التي اصبحت خربات مهجورة حول تلكيف وادمجت فيها – وقد مر الكلام على ذلك.

ومنذ بداية الحكم الوطني اخذت الحكومة العراقية تعطف على هؤلاء المسيحيين الذين اهملتهم، كما اهملت الحكومات السابقة بقية سكان العراق، فعاشوا في هذه البقعة الجرداء بعيدين عن مصادر الخيرات الطبيعية، وهي الاراضي الواقعة على النهر او عيون ماء جارية، قابعين في هذه البقعة المنخفضة من الارض حتى يكونوا في مأمن من انظار الطامعين. اذ رأى الاولون منهم ان اختيار المعيشة الشاقة افضل من تعرض الحياة والاموال الى الخطر. وهذا كان واقعا فعلا في زمن الامن فيه مضطرب، لا قوانين ولا نظام في البلاد تراعى، وكان القوي يأكل الضعيف.

اما وقد تبدلت الحال وقامت في البلاد حكومة وطنية تنشر العدل والمساواة بين الرعية فلابد ان تتحسن حالة هؤلاء ايضا والدلائل تبشر بمستقبل حسن فقد اسست الحكومة دائرة

البريد والبرق والتلفون. وتقوم البلدية بتعبيد الطرق داخل البلدة. ثم بجلب الماء الى تلكيف من نهر دجلة، كما وعدت ذلك الحكومة على لسان رجالها المسؤولين، فسوف تتحسن الاحوال فيها كثيرا، وتتقدم من نواحي كثيرة، من حيث الصحة ونشر العلم والعرفان ونظافة البلدة وزيادة الواردات، وزيادة الغلال، وتقدم الزراعة، وانتظام الاحوال، ورفاه العيش، وزيادة الايدي العاملة، وما الى ذلك من مظاهر الرقي التي تعود على الاهلين وعلى الحكومة بالنتائج الحسنة.

فجلب الماء الى تلكيف هو الشرط الاول في تحسنها واسعاد سكانها اذ اصبحت البلدة الوحيدة في زماننا هذا التي لا يمكنها ان تشبع سكانها خبزا. فلولا المساعدات المالية التي تصل اليها من ابنائها من بلدان كثيرة لاستحال على اهلها البقاء طويلا فيها، فهي مثل البحر تبتلع من هنا وهناك واهلها في فقر دائم. ويندر ان تجد عائلة في تلكيف ليس لها واحد من اعضائها، او اكثر من واحد في بلاد الغربة، يرسل الدراهم من كده وعمله الى اهله واقربائه الساكنين في هذه البلدة اليابسة القاحلة. ومع كل ذلك فهي قبلة الجميع ويعز على ابنائها ان ينسوها لانها «ماثا» اي الوطن والوطن عندهم اعز من كل شئ.

فتلكيف اليوم عبارة عن «معمل» تحضر بشرا وتقذف بهم الى الخارج. وليس في الدنيا بلد آخر مثلها يعجز عن اعاشة سكانه. وقد كان الناس في سالف الزمن يكتفون بالكفاف من العيش اما اليوم فمطاليب الحياة كثيرة متنوعة والعالم في عصر لا يعيش فيه الا من جد وسعى وقد سخر الانسان عناصر الطبيعة في كفاح الحياة وابناء تلكيف اليوم يعيشون على الطرق القديمة التي كانت في العصور الاولى. فحرث الارض قائم على السكة القديمة المستخدمة ايام الآشوريين في زمن كان الثور المستخدم لحرث الارض عندهم رمز القوة والثبات. بينما رمز القوة عند الامم المتحضرة الراقية الان هو البخار والكهرباء. وصعوبة المعيشة الكبرى في تلكيف هي قلة الماء، كما قلنا وبعد المدينة عن دجلة واعتماد الاهالي الفلاحين في زراعتهم على المطر، إن جادت به السماء غمرهم الفرح وان امسكت غيثها كان ذلك سبب نكباتهم وحصول غلاء المعيشة عندهم، كما تكرر ذلك في السنوات الاخيرة. هذه هي اسباب بقاء هؤلاء السكان بحاجة ابدا الى المساعدات المالية من الخارج،

وارسال ابنائهم الى الخارج للتعلم والتثقف ولطرق ابواب الرزق والكسب لسد عوزهم. ومما يلاحظ في تاريخ هجرتهم الى الخارج ان وجهتهم كانت الى الجنوب اي الى السهل من العراق لا الى الشمال او الى الجبل، كأن ذلك حدث برد فعل. فقد كان اهالي نينوى وبقايا مدن آشور يلتجئون الى الجبال في الاجيال السالفة وذلك كلما مسهم الضيق والاضطهاد. واما في الاجيال المتأخرة فكانت وجهتهم الى الجنوب، لا للمقاومة والكفاح ولكن لتحصيل العيش وللاندماج مع اهل السهول. وقد كان كما اوردت في هذا الكتاب ان اهالي تلكيف تفوق عددهم على عدد كل قرية سكن اهلهـا في المدن الكائنة فـي

منظر من مناظر البحيرة (تليمثه) وترى السيدات يغسلن الثياب حول البركة

سهول العراق. وقد ذكرت ماريا ترازيا في كتابها المار ذكره عن ذلك التاريخ «ان اهالي تلكيف كان عددهم عشرين الفا» وذلك قبل قرن من هذا الزمن. واذا كان المرء يشك في تصديق هذا الخبر حيث يظن ان فيه مبالغة او على الاقل ان الاحصاء في ذلك الزمن لم يكن مضبوطا، فمن المؤكد ان اهالي تلكيف كانوا اكثر عددا من الذين فيها الان. لانه كما قلت ان الاهالي لا يرضون بالعيش القليل بعد ان تفتحت عيونهم في نعيم المدن وخبروا المدنيات والحضارات. لابل لو كانت ابواب الهجرة مفتوحة امامهم الى اميركا، لما ظل في تلكيف الا القانعون بالعيش الكفيف والعجائز والمقعدون، ولذهبت البقية الباقية من سكان تلكيف الى بلاد الغرب واندمجوا في الاقوام الاخرى كما اندمج في الاقوام الاجنبية غيرهم من عنصرهم قبلهم. وعدد الكلدان في العراق يبلغ مئة الف، تضمهم مئات من القرى الصغيرة، فالذين ينتسبون الى تلكيف وحدها يبلغون ثلاثين بالمئة من العدد المذكور وهم منتشرون في انحاء العراق والباقون يشكلون جاليات صغيرة في الامريكتين الشمالية والجنوبية. لكن لو تحسنت احوال هذه البلدة وجر اليها الماء من دجلة ودخلت عليها وسائل العمران والمدنية من تأسيس مستشفى فيها وانارة الدور بنور الكهرباء وفتح مدرسة او مدارس عالية، لرجع اكثر المهاجرين منها اليها. لانه لو توفرت فيها اسباب الصحة والعيش فانها تعد من المدن النقية الهواء في العراق.

ورغما من انعدام الوسائل العصرية في تلكيف فهي من حيث المناخ طيبة ومع ان اهاليها يعوزهم الماء الصافي فان الصحة فيها معتدلة بالنسبة الى غيرها من المدن. فالسل لا وجود له في الاهالي والامراض الاجتماعية لا تكاد تعرف بينهم. والتربية البيتية العائلية في تلكيف قائمة على الطاعة والمحبة. ففي اكثر العائلات يعيش الاخوة سوية على «حال» واحدة اي غير متفرقين بالمال والمقتنيات، يشتغلون ويربحون معا ويصرفون ويأكلون من دون تفريق.

والاولاد يحترمون والديهم. وهو عار كبير على الاولاد اذا هجروا والديهم او تركوهم بلا مساعدة. كما يحصل احيانا بين الآباء والاولاد في المدن الاخرى. والاخوة الصغار يحترمون الاخ الكبير كما يحترمون الوالد. واذا بلغ الاب الخمسين سنة من العمر بينهم فقلما يزاول عملا، سيما اذا كان له اولاد فانهم يشتغلون ويربحون والدهم ليقضي

شيخوخته بسلام وراحة.

واذا تزوجت بنات البيت فلا يرجعن يطالبن بما يصيبهن من اموال الاب التي يرثها عادة الاخوة الذكور وذلك احتراما للاخوة. وابقاء لعلاقة البنت ببيت ابيها. واما البنات فيبقين عند اخوتهن مادمن غير متزوجات.

والاهالي يعمرون طويلا وبعضهم يبلغ من العمر مئة سنة. وعمر النساء بينهم اطول من عمر الرجال، من حيث العموم. ولما كان شغلهم الاساسي الفلاحة والزراعة كما بينت فانهم يرهقون اولادهم في هذه الاعمال منذ الصغر ولولا هذه الاعمال الشاقة منذ الصغر لكانت اعمارهم اطول والجمال فيهم اوفر. ولهم عادة اخرى هي مضرة بالصحة ومنافية لقوانين الطبيعة هي تزويج البنت في سن الثانية عشرة من عمرها. الا ان هذه العادة اصبحت منفورة. واذا كانت لازالت تراعى في تلكيف فابناء تلكيف في الخارج لا يعملون بها.

ويربو عدد الذكور في تلكيف على عدد الاناث، بدليل كثرة الطلب على البنات. ويدفع الخطيب مهرا لوالدي خطيبته. ويكون عادة من عشرة دنانير الى مئة دينار او اكثر، حسب اقتدار الرجل واستحقاق البنت من حيث الحسن والجمال، او مقام بيت ابيها في المجتمع.

واذا كان الفقر سبب آفات وشرور كثيرة في كل مكان وزمان، فان شره، باعتبار المال في مسألة الزواج، افدح في تلكيف. فبالرغم من عدم كفاءته من حيث الحسن وقوام الشباب ومن حيث الاخلاق والشمائل الحسنة واعتبار الاصل، يتمكن فتى وضيع الاصل ذميم الخلقة بماله ودراهمه، ان يزاحم فتى كريم الاخلاق اذا كان فقير الحال، في التزوج من احسن فتاة.

فكم من آباء يساومون الذي يأتي ليخطب يد ابنتهم على المال، فيفضلون الذي يدفع مهرا اكبر، مهما كانت عيوبه ونواقصه، على قليل المال وان كان حسن الاخلاق كريم النفس.

هذا مجمل تاريخ تلكيف وابنائها في الخارج، اتيت عليه باختصار، بقدر ماتوصلت اليه من استقاء المعرفة عنها، سواء سمعا او بتتبع الاخبار في بطون الكتب. وما تاريخ

تلكيف الا آثار نينوى الباقية الى اليوم. وانا اعترف انه ربما اهمل في هذا التاريخ ماهو اهم مما ذكر، من الحوادث والامور والشخصيات الذين انطوت اخبارهم في طيات الارض، او في طيات الكتب فلم تصل اليها يدي. وعلى كل فهذا السفر يعد بابا لكل من يريد الولوج لرؤية ماهو اوسع واوضح. ولعل الحظ يساعدني، في المستقبل او في ظروف اخرى، لوضع تاريخ اوفى واوسع من هذا، لخدمة ابناء جنسي ووطني اذ ليس من خدمة اشرف واسمى، في اعتقادي، يقدمها كاتب الى ابناء جيله والاجيال القادمة من وضع كتاب التاريخ.

قسيس يحمل صورة العذراء في صلاة الدعاء عند انحباس المطر

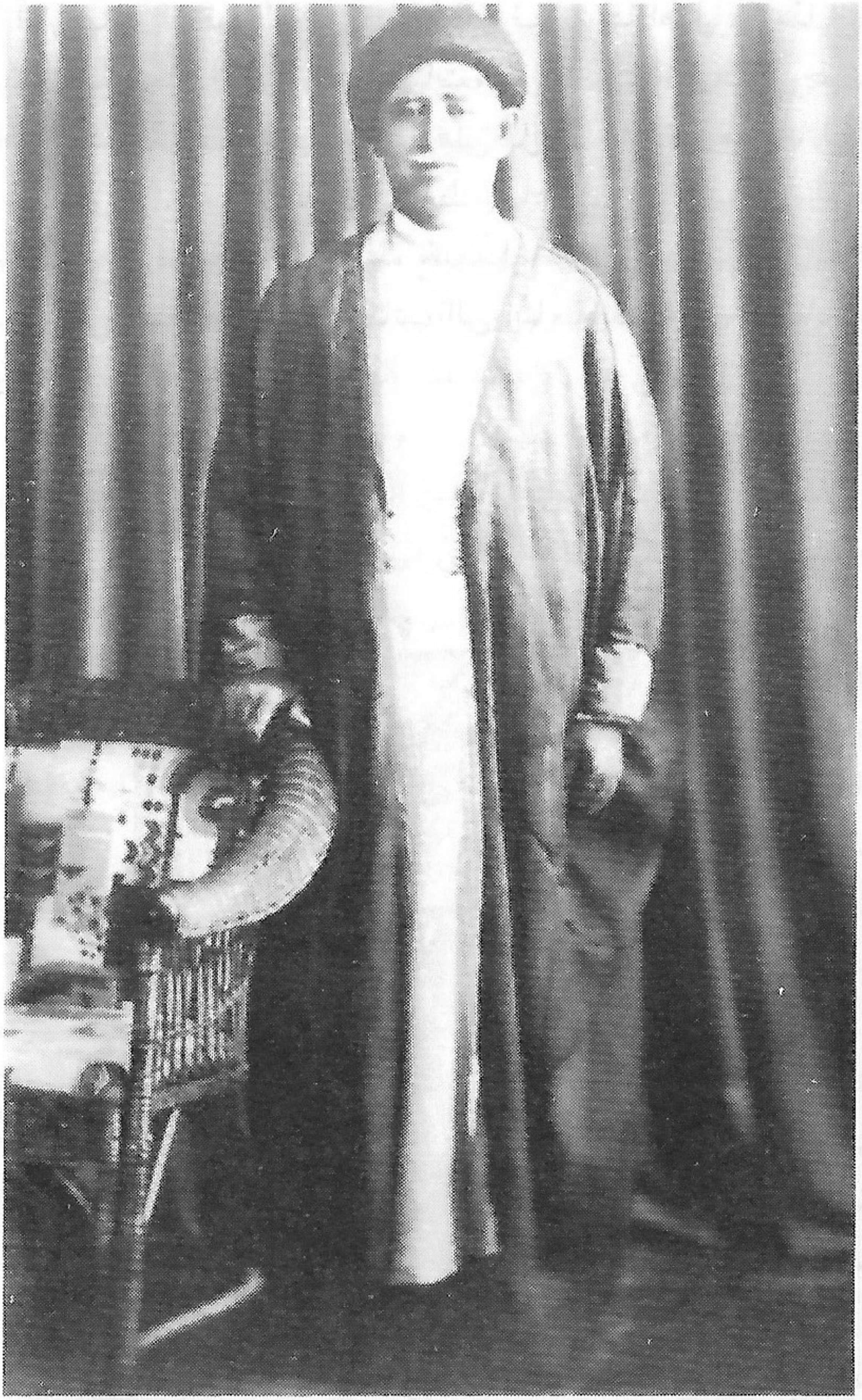

الرئيس داود سيسي

الرئيس داود سيسي

ولا يكون الحديث عن تلكيف كاملا مالم نتحدث بشئ من التفصيل عن حياة شخصية انجبتها هذه البلدة الاثيرة وكان لها اثر كبير في حياتها بل وقد تعدى تأثيرها ابعد من حدودها ، وهذه الشخصية هي شخصية الرئيس داود سيسي.(×)

مقدمة عن الاوضاع المحلية
اشتهار بعض العائلات في تلكيف

حدثت هجرة كبيرة من تلكيف الى الخارج اذ لم يتمكن كثير من العائلات من الصمود امام النوائب من آفات الزروع وظلم الحكومة والغلاء الفاحش المسمى بغلاء «وزنة بليرة» او «الوزنة بمئة» (١٠٠ قرش). وقد كان ذلك في نهاية العقد الثامن من القرن التاسع عشر اذ هاجر كثير من اهالي تلكيف الى بغداد او الى اطنة في الانضول وبعد ذلك نمت بعض العائلات واخذت تقاوم احداث الزمن، ولا يخفى ان العائلة ذات الاخوة العديدين تحت سلطة الاب كما تقتضي التقاليد العريقة في مجتمعنا تكون اقوى واغنى واثبت مركزا، خلافا لما هو جار في المدن فان العائلة الكبيرة في هذه الحالة تحتاج الى اسباب المعيشة اكثر من العائلة الريفية وتكون سلطة الاب في المدينة ضعيفة او شبه مفقودة. وفي هذه المناسبة نقول انه كان لمنصور سيسي سبعة بنين وثلاث بنات اي عشرة اولاد ، ثم ارتبط كيان العائلة بالمصاهرة مع عشر عائلات اخرى وكان الفقيد احد هؤلاء السبعة واوسطهم في ترتيب الولادة بين الذكور.

(×) لقد كتب المؤلف هذا الفصل عن المرحوم داود سيسي سنة ١٩٦٤م كملحق خاص للطبعة الثانية من هذا الكتاب.

التعلم فرصة للظهور

معظم العائلات في تلكيف كانت ترسل اولادها الى المدرسة طالما هم صغار فاذا كبروا وصاروا قادرين على العمل ومساعدة الآباء في البيت او في الحقل سحبوا من المدرسة سواء تعلموا او لم يتعلموا وعلى ذلك لا يبقى في المدرسة من اولاد القرية الا ٥٪ او اقل من هذه النسبة وهؤلاء القلائل يقتصر تعليمهم على القراءة البسيطة والكتابة وتعلم شئ من الحساب لا يتعدى الجمع والطرح. ولما كان للفقيد داود سيسي ثلاثة اخوة اكبر منه سنا يتولون مهام البيت لمساعدة والدهم، سواء للقيام بالاعمال مباشرة ام بواسطة الخدم او الأجراء، كان داود تقريبا معفيا من القيام باي عمل متعب في الزراعة او الفلاحة وما يتطلبها، فكان يداوم على الذهاب الى المدرسة، فتعلم القراءة والكتابة في اللغتين الكلدانية والعربية، وانتسب الى سلك الشمامسة الذين يلازمون خدمة الكنيسة في حضور الصلاة صباحا وعصرا حيث لم تكن اعباء المعيشة تعيقه عن ذلك. وفضلا عن ذلك فقد كان المرحوم داود سيسي أصْبَحْ اولاد منصور سيسي وجها واجملهم صورة بل اجمل شباب القرية طرا واكثرهم لياقة ولباقة واوفرهم فهما وذكاء، تسنده عشيرة قوية، عائلة غنية، وبيت مضياف، ووالد كريم رحوم محب للفقراء والايتام. فهذه كلها صفات اجتمعت للفقيد لكي يبرز من بين اخوته بل من بين انداده فيبزهم جميعا حتى انه كان يأخذ مكانه بين من كانوا في عمر والده.

الحالة الاجتماعية

ان الحالة الاجتماعية في كل بيئة تتأثر بالمحيط سواء في العادات والتقاليد او الاخلاق او الدين. وحالة قرية تلكيف لم تكن افضل من غيرها من القرى المسيحية في زمان انتشرت فيه شرور الفقر والامراض والجهل في الداخل والسلب والنهب والخوف وعدم الطمأنينة في الخارج مع الظلم وفقدان العدالة الحكومية وعدم المساواة والكراهية

المتولدة من التعصب بين الجماعات والافراد فهذه كلها عوامل تدفن العبقريات في مهدها فاذا سنحت الفرصة لواحد بالالف لكي يظهر وجوده فالفرص مسلوبة من ٩٩٩ بالالف من الثمالة. وعليه تكون الحالة الاجتماعية متأخرة كبقية صفات البشر اذا كانت حريتهم ايضا مفقودة. وقد يلجأ الناس الى الدين وعبادة الخالق ماداموا تحت سلطان الظلم والاستبداد. والذي يطالع كتب الصلاة في الكنائس المسيحية في العراق وغير العراق في الشرق لا يجد فيها غير تمجيد الله عز وجل ورفع الابتهالات اليه تعالى ان ينجيهم من الظالمين والغاصبين والذين يريدون الاستيلاء على املاك ليست لهم، كما تضم هذه الكتب الادعية والصلوات من اجل نزول المطر ودفع الاوبئة وآفات الزروع عنهم وما اشبه ذلك من تضرعات فحواها ان يحفظ الله الملوك والسلاطين والحكام ومن في ايديهم مقدرات الشعوب في العالم.

فالحالة الاجتماعية اجمالا كانت المحافظة على الشرف والسمعة الطيبة والسلوك الحسن، واطاعة اوامر رجال الكنيسة والرؤساء العلمانيين، واحترام الشيوخ واحترام المرأة في المجتمع، والتأدب في حضرة الكبار وعدم مسّ شرف اي انسان من اهل القرية. فاذا اتت الغلات جيدة، والزراعة اهم اعمال اهل القرية، كانت تزداد حفلات الرقص والغناء والانس ومناسبات الزواج وبناء الدور او تجديدها او توسيعها، فيكون المجتمع في فرح ورفاهية شاكرا الله على نعمه. وكان الناس يخجلون من ممارسة الرذيلة وكادت خطيئة الزنا ان تكون غير معروفة، وويل لمن يرتكب هذه الرذيلة سواء كان رجلا او امرأة فان الزاني او الزانية يقع تحت طائلة الحرم. وكان الحرم عقابا صارما بل كان الحرم ايضا يقع على من يشتغل يوم الاحد، كما يحرم من يخرج على الآداب العامة بالغناء او الرقص ولو كان ذلك في حفلة عرس.

الحالة الصحية

لاحظ بعض المعنيين بامور الصحة ان من بين كل ٥٠٠ مولود في السنة كان يموت من الاطفال ٣٠٠ طفل في سنتهم الاولى. هذا في بعض الحالات التي كانت تنتشر فيها

بعض الاوبئة كالجدري والحصبة، ولم تكن الحالة بافضل عند الكبار اذا داهم القرية مرض من الامراض المعدية مثل الكوليرا او الحمّى الحارة «التيفوئيد». وقد كانت الوقاية معدومة وطرقها غير معروفة او مغلوطة حسب وصفات العجائز او بعض المتطببين ذوي المعارف البسيطة في طبيعة الامراض. وقد تكون العقيدة سببا في شفاء المريض او اهماله الى كف القدر ليعيش او يموت. اما ان تفكر الحكومة في حالات السكان الصحية فذاك امر لم يكن يخطر ببال الحكومة في ذلك العهد.

الحالة السياسية او الادارية

من الاخبار المتداولة التي سمعناها من الشيوخ نقلا عن آبائهم واجدادهم انه قام في تلكيف رؤساء تولوا زمام الحكم بجانب الرؤساء الدينيين وبمشورتهم الا انهم كانوا حكاما مستبدين طالما هم مؤيدون من قبل «الباشا» او والي الموصل، اذ كانت العادة ان يصدر الباشا امرا بتولي من يراه من اهل القرية لائقا ليكون رئيسا على اهل القرية ثم يخلع عليه خلعة قباء وكان يسمى «إسقلّطا»، فيصبح الناس طوع ارادة الرئيس الجديد يأمر فيطاع كأي حاكم بأمره. ولم يكن للرئيس راتب لا من قبل الحكومة ولا من الاهالي لكنه كان يتمتع بامتيازات عديدة، فكان معفيا من دفع الاتاوة كبقية الناس هو واولاده واخوته ومن يلوذ به. ثم انه اذا فلح اراضيه تفلح له مجانا ثم تزرع وتحصد وتداس وتذرى وتنقل من الحقل الى البيدر ومن البيدر الى البيت، كل ذلك مجانا بالفزعة، وهي كلمة ملطفة من السخرة. واذا بنى له بيتا او جدد بناءه او وسع داره فالعمل يجري بالطريقة الآنفة الذكر. ولا يخفى ان دار الرئيس كانت مفتوحة للغريب والضيف والخدم والحشم وللمنسوبين والمحسوبين وامثالهم، وعلى ذلك ضرب الناس المثل «المائدة من القرية والله يعمر بيت الرئيس»! وقد اشتهر بعض الرؤساء بالرحمة والعدالة والكرم والنزاهة كما اشتهر غيرهم بالظلم والتصلف والاستيلاء على املاك الغير وعلى الاراضي المشاعة او الانتفاع بها دون سواهم.

ويبتدئ تاريخ هؤلاء الرؤساء كما نقل الينا من اواخر القرن الثامن عشر الى اوائل القرن العشرين او نهاية العقدين منه عند تأسيس الحكم الوطني في العراق.

ولم تكن ادارة احوال القرية في الفترة المذكورة كلها بيد الرئيس وحده. فبعد منتصف القرن التاسع عشر لما اخذت قرية تلكيف بالنمو والاتساع تعين ان يساعد الرئيس مختارون حيث قسمت القرية التي اصبحت بلدة صغيرة الى محلات عددها ١٢ محلة على كل محلة مختار فيؤلف منهم برئاسة الرئيس مجلس يقرر ادارة امور القرية او النظر في المنازعات التي كانت تقوم بين الاهالي. ومن الجهة الاخرى كان للحياة الروحية اتجاه آخر يقابل الاتجاه الزمني، وكان الاهالي يهرعون الى الرئيس الروحاني لفض منازعاتهم اكثر من التجائهم الى الرئيس الزمني الذي كان اقوى في تنفيذ احكامه من الرئيس الروحي.

حالة الامن

من الامور الحقيقية ان الامبراطورية العثمانية كانت في حالة تدهور وانحطاط قبل انسحابها من العراق واندحارها في الحرب العالمية الاولى مع حليفاتها، المانيا والنمسا وبلغاريا لاسيما في ايامها الاخيرة اذ كانت الفوضى ضاربة اطنابها ودعائم الامن مفقودة خاصة في الاطراف البعيدة من قلب الامبراطورية كالقطر العراقي، فكان قطاع الطرق واللصوص في كل مكان في الطرق الجبلية والوديان والسهول. وكانت بلدة تلكيف والحالة هذه تعاني الامرين من فقدان الامن، يتخلل ذلك فترات، اذا ما اتفق ان يكون والي الموصل رجلا حازما شديدا يضرب على ايدي العابثين بالامن بعصا من حديد. واذا طال امر مثل هذا الحاكم، كان يعزل من منصبه من قبل اصحاب النفوذ والمصالح الذاتية، فلا يتمتع الاهالي الا بفترة زمنية في ظل الامن ثم يعودون فيتعرضون للقتل والسلب واغتصاب اموالهم في الليل او النهار. ولما كان اهالي تلكيف اكثر اهالي القرى المسيحية الاخرى طرْقا للسهول والجبال في نقل بضاعتهم من غلة او اثمار او اموال

تجارية، فقد كانوا عرضة للسلب اكثر من سواهم. وفي هذه الحالة يكون لرئيس القرية شأن عظيم في الدفاع عن اعراض الناس وارواحهم واموالهم فاذا كان حازما يستطيع ان يدرأ الاخطار عنهم على الاقل في الحقول العائدة للقرية والطرق القريبة منها. واذا صادف ان هاجم اللصوص قافلة او فردا او افرادا لسلب دوابهم كانت النجدة «هوار» تلاحق اللصوص وتسترجع الاسلاب. و «هوار» او النجدة كانت معروفة في ولاية الموصل كلها. فاذا داهم اللصوص في مكان مقطوع غريبا بقصد السلب نادى باعلى صوته «هوار» فيهرع لنجدته سكان القرى المجاورة او عابرو السبيل سواء كان عربيا او كرديا مسلما او مسيحيا، فيلاقي نداؤه تجاوبا من اهل المروءة والهمة. وكثيرا ماكانت تحصل مقابلات في السلاح بين اهل النجدة واللصوص قد تؤدي الى وقوع قتلى بين الطرفين دفاعا عن حق المظلومين. وقبل ان تشيع الاسلحة النارية مثل البندقية او الششخانة والطبنجة، اي عندما كان لا يحمل اللص غير الرمح والسيف، كان اهالي تلكيف في هذه الحالات يدافعون عن انفسهم بالعصا وربما تغلب الواحد منهم على اثنين او ثلاثة او اكثر من اللصوص. وقد نشأ في تلكيف رجال اقوياء شجعان كانوا ينتصرون على اعدائهم سواء دفاعا عن انفسهم او عن غيرهم اذا ماوقع «هوار». وكان من واجب الشخص الذي يتولى الرئاسة في تلكيف ان يخرج في «هوار» فارسا او راجلا ليدافع عن المظلوم الذي يقع في ايدي اللصوص، معروفا كان او غريبا، لاسترجاع المسلوب. كما كان الواجب عليه ان يقضي بين الناس بالعدل ليعطي الحق لصاحبه في المنازعات والخصومات الشخصية.

ولما كانت حالة الامن في الدولة العثمانية كما بينا فان الشخص الذي يسعى لكسب رزقه يتحمل الحر والقر والتعب والنصب في الجبال والسهول بجوع وعطش ويتصبب عرقا من التعب. فاذا مااقتنى زوجا من البغال او الحمير او فدانا من الثيران في مدة سنة او سنتين يستولي على هذه المقتنيات اللصوص فيسلبونه في ساعة من الزمن مااكتسبه في سنة واحدة. هذا اذا لم يسفك دمه علاوة على فقدان امواله. في هذه الظروف كان يعيش اهالي تلكيف قرونا من الزمن في فقر وخوف وتعب وضنك من الجفاف والقحط. ولم يشعر الرئيس قط ان من واجبه ارشاد الناس او مساعدتهم في ادارة امورهم الا ماندر بين هؤلاء من الرحماء واهل الكرم. اما تجاه الحكومة وماكانت تجبي منهم من ضرائب او تكلفهم

باعمال السخرة فمن واجب الرئيس ان يدافع عن الرعية حرصا على اكتساب محبة الناس واحترامهم.

تلكيف بقعة نائية بعيدة عن خيرات الطبيعة

عاش اهالي تلكيف عدة قرون حياة قاسية مريرة وذلك لانهم يعيشون على الزراعة. فاذا صادفت سنة شحيحة المطر بل ربما عدة سنوات او انتابت الزروع آفة من الآفات يحدث غلاء فيعيش الناس في ضنك وجوع. واذا نزلت الامطار واقبلت السنة فهناك مضايقات عديدة لا تقل عن الجفاف وآفات الزروع، الحاح الحكومة على الاهالي بدفع صنوف الجبايات، الاعانات وبدل الخدمة العسكرية وماشابه ذلك. هذا علاوة على فقدان الامن وانتشار اللصوص وقطاع الطرق في الجبال والسهول، مما يقطع رزق الاهالي اذا هم ارادوا شد الرحال لاجل نقل البضائع والمقايضة كسبا للعيش. لهذه الاسباب كانت حياة الناس قاسية في هذه البقعة النائية عن الانهر والمياه الجارية والضنينة باعاشة ساكنيها حتى بالقوت القليل. ومن جهة اخرى روضت هذه المعيشة الناس على الصبر والشدة واقتحام المخاطر وارتياد المجاهل لايجاد بلد او بقعة من الارض تمدهم بالعيش الكفاف وتنعم ومن فيها في ظل الامن. ومنذ عدة قرون كانت قوافل التلاكفة ترتاد الجبال والسهول طلبا للرزق والكسب الحلال. ولما اتسعت آفاق معارفهم واختباراتهم في البلدان التي رأوها او سمعوا عنها صاروا يهجرون البلدة طلبا للعيش اما مؤقتا او بصورة دائمية فاصبحت تلكيف عبارة عن مزرعة تنتج البشر وتقذف بهم الى الخارج. اما اذا كانت الاحوال طيبة وتوالت مواسم الخير وصلح رؤساء الرعية ازداد حب الوطن في قلوبهم فلا يريدون عن بلدتهم بديلا. ولمن تؤول اليه الرئاسة في تلكيف شأن عظيم بملازمة الناس ديارهم واوطانهم فلا احب للمرء من مناظر الاراضي والحقول التي يحرث ويحصد ويصيد فيها لاسيما اذا تربى فيها صغيرا.

اصل عائلة بيت سيسي
التي منها الرئيس داود سيسي

ذكرت فيما مضى من الكلام شيئاً قد يحسبه القاريء خارجاً عن الموضوع، ولكن من الصعب ان يدرك المطالع حقيقة الأمور من دون هذا التمهيد. فللعائلات والأفراد شأن في حوادث الزمن في كل بلدة او قرية لاسيما مثل تلكيف التي تربط جميع سكانها تقريباً صلة القرابة والنسابة والمصاهرة، ولا يستثنى من ذلك إلا الغريب النازل بينهم حديثاً وهذا أيضاً اذا مر عليه جيل واحد فلابد ان يرتبط مع عدة عائلات بالمصاهرة والزواج، يزوج بناته للغير ويزوج بنيه من بنات الغير، فيصبح قريباً ونسيباً لهم. والذين يملكون أراضي علاوة على دور السكن هم أكثر ملازمة للوطن من غيرهم ممن لا يملكون إلا البيوت نظراً لحداثة عهدهم في سكنى البلدة.

إن عائلة بيت سيسي فرع من عائلة بيت كسّاء (بتشديد السين) وهي تشمل بيت كيزي وبيت كريّم (بتشديد الياء) وبيت شراك.

عائلة كسّاء تنقسم الى قسمين: بيت كساء الأعلى «نسبة الى المحلة» وبيت كساء التي منها بيت سيسي.

أما من أين جاء بيت كساء فقد ذكر لي القس الخبير بأخبار السلف داديشوع نجار الذي كان رئيس أديرة الكلدان في العراق، ان بيت كساء من باشبيتا «بيث شويثا» الكائنة شرقي مدينة الموصل وغربي جبل مقلوب. دخلوا تلكيف في القرن السادس عشر او بداية السابع عشر، وقد كانت هذه رحلتهم الأخيرة.

كان سيسي وأسمه الحقيقي يوسف أحد الأخوة الثلاثة او أكثر من ثلاثة، لا أعرف بالضبط وهم «العم حبّي» و «العم شمعونا» و «العم يوسف الملقب سيسي» وكلمة العم تطلق على الرجل احتراماً لشخصه. وكان لسيسي أربعة بنين عدا البنات، هم: منصور والياس وزيا وبطرس، ولمنصور سيسي سبعة بنين هم: مروكي وججو وطوبيا وداود وهرمز ونعمو وحنو، وثلاث بنات هُنّ: ورداني ومروشه وخوخي والوسط بين البنين كان داؤد.

ومع ان هذه العائلة معروفة من بنين وبنات وكنات بالحسن والجمال، فلا يجوز لي القول ان الجميع متصفون بالحسن والجمال بصورة فائقة. أما داؤد فلم تقع العين على من هو أصبح منه وجهاً وأكمل منه صورة، فلم يكن طويلاً ، مفرطاً في الطول، بل معتدل القامة، لا نحيفاً ولا ممتلئاً، أبيض البشرة، مشرب بالحمرة، فمن قمة رأسه الى ظفر أصبعه لم يكن فيه عيب، والى جانب هذا الجمال الرجولي هيبة ووقار ورزانة وكلام موزون تتخلله الحدة احياناً في ساعات الغضب وقد ورث هذه الصفة من والده. فقد كان منصور سيسي كريماً رحوماً سخياً مستقيماً سليم القلب، محباً للفقراء والمساكين عوناً للمظلومين ومع هذا كان يغضب ويشتد غضبه من كل أمر معوج مهما يكن مركز فاعله صغيراً كان أم كبيراً.

وداود شأنه شأن والده، ينسى الأساءة ويسامح المسيء ويصفح عمن تجاوز عليه، مع قدرته على الأيقاع بكل خصم او عدو فترى اليوم من شتمهُ يشرب القهوة من يده في ديوانه العامر (مجلسه).

منصور سيسي رب البيت بدلاً من الرئيس

لم يطلب منصور سيسي الرئاسة ولم يسع اليها واذا ما سعت اليه كان يرفضها، فظل رب البيت المؤلف من نحو ستين نفساً من بنين وبنات وكنائن وأحفاد. ومثل هذا العدد كل يوم تقريباً من ضيوف ومن غرباء ممن يطرقون البلدة من عرب واكراد ومن سكان المدن ومن الأجانب، وكل من لا يعرف له صديقاً او صاحباً من بين اهل تلكيف كان يقصد بيت سيسي. فكان أب العائلة الكبيرة يهرع لأستقبال الضيوف وكثيراً ما كان يهتم شخصياً بقِرى الضيوف ومنامهم وراحتهم، بل حتى بعلف دوابهم. ولما كانت السلطة بيد الأب فقد كانت الأعمال مقسمة بين ابناء البيت وكان داود ينوب عن والده في كل ما يخص الحياة الأجتماعية او السياسية او الأدارية، فترعرع في هذا المحيط منذ ان كان لا يزال في كنف والده. وبعد وفاة والده عندما أفترق الأخوة، وذهب كل واحد لشأنه، كان قد مارس هذه الحياة وعرك الدهر منذ شبابه.

وفي زمن الأحتلال البريطاني كانت رئاسة البلدية تقوم بالأنتخاب، فأنتخب اول رئيس

للبلدية مع بقية الأعضاء وظل كذلك الى ان ادمجت رئاسة البلدية بوظيفة مدير الناحية، لأن بلدة تلكيف على سعة اطرافها وكثرة عدد القرى التابعة لها لم تكن إلا ناحية من الوجهة الأدارية الرسمية وما زالت كذلك حتى الآن.

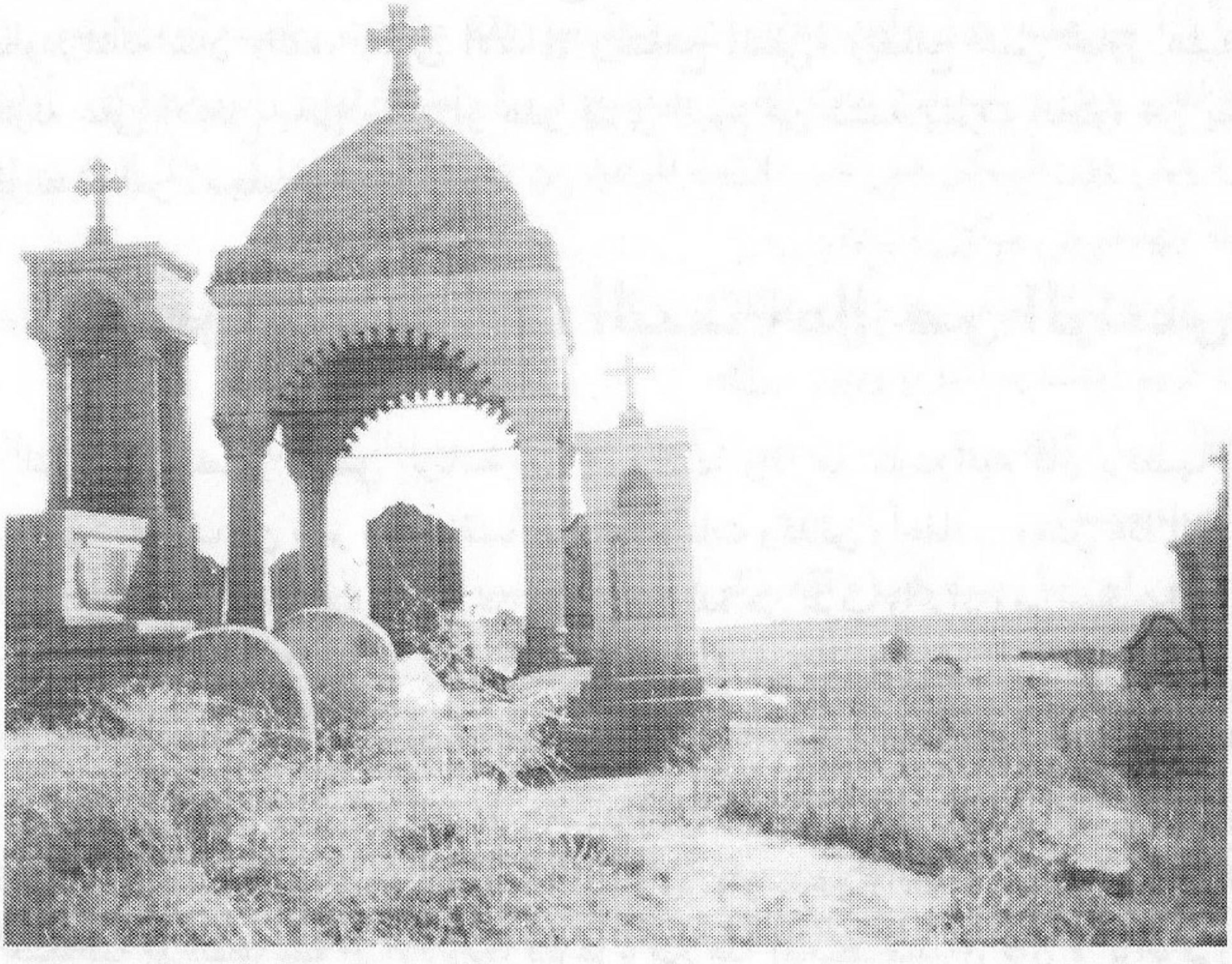

النصب التذكاري لضريح منصور سيسي على قمة تل تلكيف

داود سيسي زعيم قومه

قد يكون المرء زعيماً ووراؤه ملايين من البشر مثل ما كان موسوليني في ايطاليا مثلاً او هتلر في المانيا او ستالين في روسيا او سعد زغلول في مصر، وقد يكون رئيس قرية صغيرة، كرئيس تلك القرية الذي خرج لأستقبال يوليوس قيصر لما قيل له أنظر الى رئيس قرية صغيرة كيف يعلي صدره ويتبختر في مشيه، فأجاب القيصر ليتني كنت رئيساً اول على هذه القرية ولا ثاني كبير في روما. فالزعامة مرهونة بالكثرة العددية لأتباع الزعيم. فكم من عبقري قاد شرذمة صغيرة فأنتصر في القتال فظل مغموراً وطويت عبقريته تحت الثرى وخلاف ذلك من يقود جيشاً عرموماً جراراً فينتصر به فيسجل له التاريخ عملاً مجيداً. لم يسجل التاريخ عملاً بطولياً كما سجل لنابليون بوناپرت، ولكن هذا القائد العبقري النابغة لو لم يكن له جيش مثل جيش فرنسا لما ظهرت عبقريته كما تجلت في جيش عظيم خاض معارك عظيمة. وقد اشتهر نابوليون في عدة معارك انتصر فيها واشتهر غيره كذلك والتاريخ لازال يقرن الحوادث بأسماء الأبطال الذين قاموا بها. والبطولة لا تنحصر في الأنتصار في المعارك بل للبشر مجالات في نواحي كثيرة يأتي بها الأفراد فينالون عليها أكاليل المجد وان يكن الأنتصار في القتال اكثرها شهرة لكن اعمال العباقرة تنال شهرة اوسع بالنسبة الى المحيط الذي تحدث فيه. كم من معركة خاضها نابليون نال فيها شهرة فاقت شهرة الذين تبعوه والذين نبغوا بعده حتى هذا اليوم. في معركتين او ثلاث او خمس معارك كان ينازل بجيشه جيشاً يزيد على جيشه اضعافاً ولكنه كان ينتصر على اعدائه. فهل يذكر احد ان القائد الآثوري آغا بطرس في الحرب العالمية الأولى كان يقود جيشاً من عراة حفاة بؤساء هاربين مطارَدين فكان اذا نازل جيش عدوه القائد التركي على احسان باشا كان ينتصر عليه. وقد انتصر عليه في ١٤ معركة ونسبة الجيوش بينهما نسبة واحد الى عشرة. فهل يحفظ التاريخ بطولة لآغا بطرس الذي لم يكن ألمانياً ولا فرنسياً او روسياً او امثالهم ممن ينتسبون الى دول عظمى، بل كان قائداً آثورياً؟ فما أكثر العباقرة في العالم، وما أكثر الأبطال والبطلات والنبغاء والنابغات ولكن اكثرهم يعيشون مجهولين ويموتون مغمورين، وربما يكونون مثل البراعم

فلا تتفتح ولا ترى النور كصبي يداهمه الموت قبل أوانه او جندي يصرع في الوغى، فلو عاش لأصبح قائداً عظيماً ، من يدري؟!

الزعيم من يفتقده قومه في ساعة الخطر
قلم امين ينطق بشهادة صدق

لما قامت الثورة العراقية في وجه الأنكليز في سنة ١٩٢٠ استشرت الفوضى في بعض انحاء العراق وانتهزت الفرصة بعض العناصر التي تميل الى النهب والسلب في مثل هذه الحالات، فكان رجال العشائر يحومون حول اطراف تلكيف بغية السلب والنهب، فأعترى الأهالي الذعر والخوف بسبب الأختلال الذي حل في الأمن. وهناك سمع الاهالي ان داود سيسي امتطى حصانه وخرج للذود عن البلدة، فتبعه اكثر من (٥٠٠) راكب ولم يكن مع الجميع بنادق بل مسدسات وخناجر وحتى العصي، فأنهم ركبوا وخرجوا لأن داود سيسي طلع في مقدمة النجدة. أني لا ابخس حق شخصيات عديدة في تلكيف عرفت بالمرؤة والنخوة والنجدة، ولكن اذا احتاجت البلدة الى من يدافع عن حق الأهالي او يستعطف رجال الحكومة بمطلب من حاجات البلدة فلا يفكر الناس إلا ان يكون داود سيسي في مقدمة من يليق للمطالبة والدفاع عن حقوق الناس. كما حدث عندما ادعت بعض الجهات بملكية اراضي تلكيف وأملاك الأهالي، فقد ظل الفقيد داود سيسي يدافع ويراجع عدة سنوات الى ان فاز بكسب القضية. وهي ذي تفاصيل مجرى الأمور كما رواها لنا صديقنا وعديلنا يوسف ناظر، نثبتها هنا كما جاءت بقلمه:

« كان ذلك في ربيع عام ١٩٣٧ وتلكيف تغلي كالمرجل، فهي تعيش على اعصابها منذ زمن غير قصير في حين تحاول اغتصابها بقضها وقضيضها فئة متنفذة لتضمها الى اوقاف النبي جرجيس، التي تتولاها اسرة معروفة في الموصل، ويحاول نفر موتور من هذه الأسرة استخدام كل ما لديه من نفوذ للتأثير على جهاز الدولة وأغتصاب هذه البلدة الآمنة التي تضم بين جدران بيوتها الحجرية نحو اثني عشر الف نسمة - فضلاً عن عشرات

الألوف من ابنائها المنبثين في مشارق الأرض ومغاربها - بما في ذلك اراضيها الزراعية المترامية.

وتحار الدوائر المختصة في الأمر. فبالرضوخ لمشيئة تلك الأسرة وتسليم اكبر بلدة مسيحية في العراق غنيمة باردة لها فضيحة كبرى على الصعيدين المحلي والدولي ... وتخلصاً من المأزق تحال المشكلة الى دوائر التسوية في الموصل فتنتقل من طور الى طور وتتدخل اصابع النفوذ للتأثير على سير الامور وحرف كفة الميزان لصالح المتولين.

وفي تلكيف يقف زعيم كبير كالطود الشامخ في وجه هذا الطغيان الصارخ والعدوان السافر على بلدته وبلدة آبائه واجداده لمئات بل ربما لآلاف من السنين. هذا الزعيم هو داؤد سيسي الذي وضع حياته وامواله ومصير اسرته الكريمة على خط النار للدفاع عن بلدته الحبيبة، فكان صراع مستميت بين حق يداس وباطل يدوس. ورغم التهديد والوعيد ورغم الوعد والأغراء لم تلن لهذا الزعيم الفذ عريكة بل هو استقطب أهالي البلدة بأسرهم حول عرينه وأخذ يصول ويجول وينتقل كالنمر الثائر بين تلكيف والموصل وبغداد لا يقر له قرار ولا يهدأ له بال.

وأخيراً وبعد ان تعقدت الأمور وعجزت دوائر التسوية في الموصل عن حل المشكلة بأعطاء الحق لأصحابه وتجنباً للأحراج الكبير أحيلت القضية الى رئاسة لجنة تسوية حقوق الأراضي في كركوك ليحكم فيها رجل محايد لا يخضع للنفوذ. فلقد كان على رأس تلك اللجنة يومئذ رجل بريطاني اسمه "كولونيل لاين" وهو من الأنكليز القلائل الذين عملوا في العراق ممن أبوا أخضاع العدل للضغوط السياسية، فكان ان أصدر حكماً بعائدية بلدة تلكيف واراضيها الى اهالي تلكيف وبذلك انطوت صفحة رهيبة من تاريخ هذه البلدة الآمنة بفوز الحق على الباطل، وكان داؤد سيسي ساعتئذٍ موجوداً في كركوك لم يبارحها إلا وبيده قرار الحكم.

ذكرت هذه المقدمة لأتوصل الى حادث طريف ربطني فيه القدر بذلك اليوم الأغر ولم يزل جزءاً عزيزاً من ذكرياتي حتى اليوم. وخلاصة الحادث انني كنت يومئذ موظفاً ناشئاً في احدى دوائر الدولة في الموصل وكنت لا أزال أسكن في شقة من دار احدى العوائل المسيحية في الجانب الأيسر من المدينة، وكان هذا الجانب حديث العمران يحتوي على حي

وكراج خاص بسيارات الأجرة العائدة لتلكيف. وأعود للدار في أصيل ذلك اليوم فاذا بجلبة غير اعتيادية في الداخل. وأدخل قلقاً فأذا بأهل الدار والجيران قد شكلوا حلقة استطلاع ودية حول رجلين، فمن عسى يكون هذان الرجلان الغريبان في تلك الساعة المتأخرة من النهار؟ ولم يطل بي الفضول فما ان لمحاني حتى سمعت صوتاً مألوفاً يرن في اذني وهو يرحب بي من بعيد. ولم يكن ذلك الصوت سوى صوت داود سيسي وقد انفرجت أساريره الشماء عن غبطة طافحة ولمعت عيناه الشهلاوان الواسعتان ببريق النصر المؤزر وقد جلس الى جانبه رفيق سفره الشهم يوسف شينا والد الصديقين ميخائيل وجبرائيل شينا وقد أفتر ثغره هو الآخر عن الفرحة الكبرى بالنصر المبين ... إذن لقد أصبحت مضيفاً لأبن تلكيف البار الذي أنقذ بلدتنا الحبيبة من براثن مغتصب ظالم، فكان أجلّ وأكرم ضيف يحل بساحتي.

وكانت تلكيف برمتها في ذلك اليوم التاريخي الحاسم - وقد تناهت اليها انباء النصر العظيم - ترتدي أبهج زينتها وأزهى حُللها، تتماوج جوانبها بمهرجان ساطع من الأفراح لم تشهد له مثيلاً في تاريخها الحافل الطويل. لقد كان ذلك اليوم السعيد يوم عرسها الأكبر. فكنت ترى الناس وقد استبدت بهم نشوة الفرحة العظمى يملأون الطرقات واطراف البلدة يتبادلون التهاني على قرع نواقيس الكنائس في مرح وعناق تعطرهما أنفاس الربيع الشذية. ولقد استمرت الأحتفالات الشعبية بتلك المناسبة العزيزة حتى صباح اليوم التالي .. يجري هذا كله بينما صاحب الرأس المدبر والعقل الراجح والقلب الجريء لتحقيق هذا النصر الفريد يشرفني بقضاء الليلة في ضيافتي.

ولابد ان يتساءل الناس لماذا ترى قضى داؤد سيسي تلك الليلة التاريخية في حي صغير من احياء الموصل بينما البلدة التي انقذها من المصير القاتل تموج بالأفراح؟ لقد اجاب على هذا التساؤل رفيق سفره يوسف شينا فقال انهما عندما وصلا الى جانب الموصل الأيسر قادمين من كركوك كان الظلام قد اوشك ان يحل وكانت آخر سيارة من سيارات تلكيف قد سبق ان غادرت الكراج. وكانت قد بلغتهما أخبار تفيد ان هناك مؤامرة مدبرة لأغتيال داود سيسي وان كميناً قد نصب بين الموصل وتلكيف لتنفيذ المؤامرة. لذا فقد آثرا المبيت في الموصل ليبكرا في الذهاب الى تلكيف صباح اليوم

التالي. وغني عن القول ان الأهالي خرجوا بقضهم وقضيضهم، نساءً ورجالاً واطفالاً، الى مشارف البلدة لأستقبال البطل ابن تلكيف البار داود سيسي الذي كان أميناً على زعامته في أحلك الساعات وأحرج الظروف فأستحق منهم هذا التقدير المنقطع النظير.

هكذا قاد داؤد سيسي سفينة بلدته الى شاطيء الأمان وسط اللجج الصاخبة والأنواء العاتية، وستبقى ذكراه فواحة عطرة في قلوب ابناء تلكيف جيلاً بعد جيل».

.... ما ضاع حق وراءه مطالب ...

ويمكن القول بدون اية مبالغة ان داود سيسي كان قبلة الأنظار في كافة الشؤون العامة العائدة الى بلدته، فأذا ارادت الحكومة معرفة رأي الأهالي في مسألة من المسائل كان في مقدمة من يجب أخذ رأيهم داؤد سيسي.

لقد قال لي احد مدراء ناحية تلكيف: ارى من صالح وظيفتي ان استشير داود سيسي في كل قضية تتعلق بإدارة هذه الناحية. وفي كل أمر يتبادر الى افواه الناس: «ماذا يقول او قال داود سيسي في كذا وكذا من القضايا». هذا في الأمور العامة، على ان داؤد سيسي كان يقضي معظم اوقاته في تمشية أمور الذين يلتمسونه او يطلبون وساطته في قضايا خاصة استجابة لتوسلاتهم، بل كان يتحمل الغرامات والأذى والخسارة في سبيل الناس. وكم كان يتألم اذا لم يستطع انجاح قضية من قضايا الناس دون ان يكون له فيها ناقة او جمل.

داود سيسي قاضياً مدة نصف قرن

القاضي تعينه الحكومة ويتقاضى راتبه من الخزينة العامة، وتدعم احكامه قوة من الشرطة فيترافع الناس امامه، ويجلب الى محكمته هذا وذاك ويصدر حكمه كما يراه حقاً على المدعي او المدعى عليه. ولكن ما قول القاريء اذا علم ان داود سيسي كان قاضياً مدة نصف قرن وهو جالس في بيته، فيأتي اليه الناس وهو في ديوانه يعرضون امامه

قضاياهم فيأخذ الحق من المعتدى والمغتصب فيعطيه للمظلوم المعتدى عليه وللفقير المعدم وللضعيف. وليس ذلك فقط بل في كل خلاف يقع بين رجل وآخر، بين جار وجاره، بين عامل وصاحب العمل، بين فلاح وصاحب الأرض، بين أخ وأخيه، او رجل واولاده، او كنة وحماتها، او بيت حميه، يكون داود سيسي هو الحاكم او الحكم او الوسيط او المصالح او القسام. واذا كان الحاكم في المحاكم او القاضي ينفذ احكامه بواسطة الشرطة، فلم يكن لداود سيسي اية قوة لأجبار المتخاصمين لقبول حكمه. ولكن ليصدق القاريء ما أقول ان حكم الحكام والقضاة اذا احتاج الى تمييز حتى يحصل على المرحلة الأخيرة من الحكم فأن حكم داود سيسي ما كان يحتاج الى ذلك، لأن الذي يرفض الأنصياع الى حكمه يناله التحقير من بني قومه وقد جاء بأختياره الى المرافعة في حضرة داود سيسي وامام الحاضرين في ديوانه، فلابد ان يقبل بما ينطق به لأنه لا يتحيز إلا للحق. ولا يصادف من يرفض ما يحكم به داود سيسي.

حضرت مرة قضية رجل كان يشتكي من عقوق ابنه معه فأشتد غضب داود على الولد العاق ونهض وصفع الولد على وجهه، فدافع هذا عن نفسه معتذراً بقوله انه لا يعرف بفقر والده لأنه لا يعيش معه وان له اولاداً آخرين. حينذاك قال داود للرجل العجوز اذا احتجت شيئاً تعال خذه من بيتي، فأستحى ابنه وتذلل قائلاً انه سوف يقوم بكل واجباته تجاه والده. وكان اي رجل اذا قال لخصمه انه يشكوه الى داود سيسي يأخذ حقه قبل الذهاب الى الديوان استحياءً وخجلا.

رجل يشارك الناس افراحهم واتراحهم

لم تكن القرية مثل المدينة تعج بالولائم والحفلات والأحتفالات العامة لكن في القرية ايضاً افراح واتراح واجتماعات وفي كل مناسبة كبيرة يسأل الناس اذا كان داود سيسي حاضراً، بل كثيراً ما يستشهد الناس بقولهم "ان من بين الحاضرين كان داود سيسي ايضاً". والحقيقة انه كان من فخر الناس ان يمشي داود في عرسهم. وكانت اكبر تعزية اذا

مشى داود سيسي في جنازة قريب لعائلة من العائلات. وهكذا كان الرجل يشارك الناس افراحهم واحزانهم ظاهراً وباطناً. بعد ان سكن نجله المحامي نجيب في بغداد كان احياناً يأتي الى بغداد ويقيم عند ابنه الا انه لاينسى ان يرجع الى تلكيف ويفتح ديوانه في وجه اصدقائه ومريديه وباب داره في وجه الضيوف والغرباء فضلاً عن الأصدقاء والذين يسمعون به من بعيد او قريب

نجيب لايعرف عن صيت والده وشهرته

كنت مرة مع نجله نجيب نزور بعض القرى في قضية الترشيحات النيابية وكنا في قرية نائية على الزاب الكبير أكلّم شيخا من شيوخ العشائر ذاكراً له من بين المرشحين "نجيب داود" وكان الرجل مقعداً لا يبارح قريته فقال متسائلا "ابن داود سيسي"؟ فقلت له اتعرف داود سيسي؟ "فقال لا والله بس آني سامع باسمه". وهكذا كنا نرى في جميع القرى العائدة الى قضاء الموصل حتى قال لي نجيب «بالشرف إني ماكنت اعرف ان والدي مشهور بين هذه القرى والعشائر الى هذا الحد". بل اني سمعت من عدة اشخاص من اهالي تلكيف انهم اذا كانوا يتعرضون للسلب أو النهب وعرف اللصوص انهم من تلكيف حيث لابد لأولئك ان أكلوا (خبز وملح) في بيت سيسي فانهم يتخلون عنهم. واذا كان أهل تلكيف غرباء في قرية من القرى او في البرية، فهم يلاقون ترحيباً اينما حلوا لشهرة بيت سيسي ان لم يكن لشهرة آخرين من تلكيف.

داود سيسي في ذمة الخلود

في الساعة العاشرة من صباح ١٩٦٢/٥/٢٠ لبى المرحوم الشماس داود سيسي نداء ربه في بغداد، عن عمر ناهز الثالثة والثمانين، فانتشر الخبر المحزن بسرعة البرق فتقاطر المئات من الرجال والنساء الى دار الفقيد وبقوا هناك حتى المساء حيث نقل جثمانه الى كنيسة مار يوسف بموكب مهيب لم يسبق له مثيل ووري التراب هناك بعد ان أقام غبطة البطريرك مار پولس الثاني شيخو قداسا جنائزيا كبيرا ارتجل في نهايته كلمة مؤثرة نوجزها بما يلي:

(بحزن والم بالغين نودع اليوم الوداع الاخير المرحوم الشماس داود منصور سيسي الذي كان يعتبر بحق ركنا من اركان مجتمعنا المسيحي اذ ان خدماته المشكورة كانت عونا كبيرا للكنيسة كما ان حبه وعطفه كانا بلسما شافيا للمحتاجين وللمهضومة حقوقهم وللارامل واليتامى، وكذلك مساعداته المادية والمعنوية للراهبات والاديرة كانت عونا كبيرا ليس فقط عندما كان رئيسا للبلدية بل في جميع الاوقات، هذا بالاضافة الى انه كان قاضيا عادلا يقوم بحسم الخلافات التي كانت تحصل بين ابناء بلدته التي احبها كثيرا وضحى من اجلها بالغالي والنفيس، بالاخص اثناء فترة عصيبة من الزمن طالت عدة سنوات عندما اقام المتوليان على اوقاف النبي جرجيس في الموصل دعوى امام القضاء طالبا بموجبها اصدار الحكم بعائدية جميع دور وعقارات اهل مدينة تلكيف الى اوقاف النبي جرجيس، وان الاهالي ليس لهم اي حق فيها. وقد تولى الفقيد امر الدفاع عن الاهالي بكل ما اوتى من قوة حتى انه تعرض للاغتيال اكثر من مرة بقصد ازاحته عن الطريق ومع هذا فانه استمر في كفاحه حتى كسب الدعوى وانقذ عقارات واملاك عشرة آلاف نفس وهم عدد نفوس تلكيف من الضياع. ولهذه المزايا مجتمعة احبه الناس وتعلقوا به وان الله قد كافأه في حياته بالنعم والافضال كما كافأه في هذا اليوم اذ هيأ له هذه المراسيم الدينية المؤثرة التي قلما تتهيأ على مر الايام. لقد كان المرحوم محبا للكنيسة ومداوما على حضور الشعائر الدينية صباحا ومساء حتى انه سقط على الارض وهو في طريقه الى الكنيسة مما سبب هذه النتيجة المؤلمة وكلي امل بان يقتدي به الغير ويسيروا على منواله في هذه الحياة الفانية) انتهت كلمة

غبطة البطريرك. وقد حضر هذا القداس الجنائزي تسعة مطارين كلدان بالاضافة الى مطران السريان الكاثوليك ومطران اللاتين وعدد كبير من القسس والراهبات بالاضافة الى حشد هائل من ابناء الطائفة الذين حضروا لتوديع المرحوم الشماس داود سيسي الوداع الاخير تقديراً منهم لأفضاله وخدماته.

بعد نشر نبأ وفاة المرحوم داود سيسي في الجرائد اليومية الصادرة في بغداد ارسل عدد من شخصيات البلد الذين كانوا قد تعرفوا عليه في مرحلة من مراحل حياته كلمات تأبينية ومن جملة الذين كتبوا وزير المعارف الاسبق معالي السيد تحسين علي ورئيس الادعاء العام الاديب المعروف احمد حامد الصراف والحاكم في محكمة تمييز العراق الاستاذ نوري العمري وندرج في ادناه موجزا لكلمة كل منهم:

مختصر كلمة معالي السيد تحسين علي:

في احد الايام عندما كنت متصرفا (محافظا) للواء الموصل اعلمني مدير تحرير اللواء بان داود سيسي وهو من اهالي تلكيف يروم مقابلتي لامر هام فقلت له ليتفضل. ولما انفتح الباب رأيت امامي شخصا ذا هندام حسن وهيبة ووقار. وبعد ان صافحني وقدم لي نفسه اتخذ مقعدا بالقرب من مكتبي وبدأ الكلام بالاعتذار عن كونه سيأخذ جزءا من وقتي وقال: لولا ان الامر الذي جاء من اجله بالغ الاهمية بالنسبة لابناء بلدته لما كان يأتي لمقابلتي. واستطرد قائلا ان المتصرفية قد اصدرت تعليمات تقضي بمنع تصدير المؤن كالبرغل والحبية والهرطمان وماشاكل ذلك من لواء الموصل الى الألوية الاخرى وان هذه التعليمات التي صدرت قبل ايام قليلة قد الحقت ضررا بالغا بكثير من اهالي تلكيف الذين تعودوا على القيام بتصدير هذه المواد منذ سنوات طويلة دون ان يكون هناك مانع من ذلك، وهم يعتمدون في كسب رزقهم على تصدير هذه المواد من لواء الموصل الى لواء بغداد والبصرة وغيرهما من الوية العراق، بعد ان يكونوا قد اقترضوا المبالغ اللازمة لشراء المواد الاولية كالحنطة وغيرها، واجراء عدة عمليات لصناعة هذه المؤن وتحضيرها للاستعمال. وان هؤلاء الاشخاص كانوا فعلا قد وضعوا هذه المؤن في اكياس واتفقوا مع اصحاب السيارات الكبيرة لنقلها، ولكنهم فوجئوا بتعليمات المنع هذه فتملكهم اليأس

والقنوط واصبحوا في حيرة من امرهم اذ ان هذه المؤن تتلف ويتغير طعمها عند الطبخ اذا مامرت عليها مدة من الزمن. هذا بالاضافة الى حيرتهم في كيفية تسديد ما اقترضوه من اموال وكيفية تمكنهم من تأمين المعيشة لعوائلهم واطفالهم. واضاف قائلا لو ان تعليمات المنع كانت قد صدرت قبل المباشرة بتهيئة هذه المؤن وشراء المواد الاولية لها لكان الامر اخف وطأة ولكنها صدرت بعد ان كانت هذه المؤن جاهزة للشحن. وعليه ارجو ان تتفضلوا بايقاف العمل بهذه التعليمات لمدة خمسة عشر يوما على الاقل ليتسنى لكل من هيأ هذه المؤن لنقلها وتصديرها الى الالوية الاخرى، وبهذا تكونون قد انتشلتم عشرات العوائل من الازمات المالية التي تواجههم وستكون سببا في فتح ابواب الرزق في وجههم، وهذا اجر كبير سيكافئكم الله عليه بالصحة والخير والنجاح.

وبعد ان استمعتُ الى اقواله اقتنعت بمنطقه وبقوة حجته ورأيت انه ليس من العدل ان نمنع هؤلاء الاشخاص من تصدير بضاعتهم المهيأة والتي تعوّدوا على تصديرها في كل سنة وانه كان من الصحيح اصدار هذه التعليمات قبل موسم المباشرة بتهيأتها ليكون هؤلاء الاشخاص على بينة من امرهم. وعليه فقد طلبت من مدير تحرير اللواء اصدار ملحق لهذه التعليمات يتضمن تأجيل العمل بها لمدة خمسة عشر يوما لفسح المجال امام كل من له مؤن جاهزة لتصديرها الى الألوية الاخرى. وقد انتظر المرحوم داود صدور هذا الملحق فاخذ نسخة منه وكان الفرح والسرور باديان على وجهه بشكل واضح وكان قد شكرني كثيرا كما انني شكرته انا ايضا على قيامه بتنبيهنا الى الخطأ غير المقصود الذي كانت المتصرفية قد وقعت فيه وقيامنا بتصحيح ذلك الخطأ على اساس ان الرجوع عن الخطأ فضيلة. وقد تعددت بعد ذلك لقاءاتي مع المرحوم داود وكانت كلها تدور حول الحقوق المهضومة لابناء بلدته وانه لم يراجعني في اي يوم من الايام في موضوع يتعلق به او باي من افراد عائلته، وهذا ماجعلني أن احترمه اكثر بالاخص وقد لمست فيه الاخلاص والصدق والرجاحة في عقله.

رحم الله داود سيسي واسكنه فسيح جناته والهم اهله ومحبيه وابناء بلدته الصبر والسلوان.

مختصر كلمة الاستاذ احمد حامد الصراف:

في سنة ١٩٣٦ كان قد صدر امر تعييني معاونا لرئيس التسوية للمنطقة التي من ضمنها ناحية تلكيف، وقد اتخذت هذه البلدة مقرا لعملي، وكان الوقت ربيعا وكنت قد نَصبتُ خيمة لي واخرى للعاملين معي في منطقة البيادر التي تقع بين التل وبين الاراضي التي تقع قبل مزار مارت شموني والتي يسمونها (بيادر عائلة سيسي). وفي تلك الفترة كان متوليا اوقاف النبي جرجيس في الموصل قد اقاما دعوى يطالبان فيها باصدار الحكم بعائدية املاك بلدة تلكيف الى اوقاف النبي جرجيس، اي انتزاع ملكيتها وحق التصرف فيها من اهالي هذه البلدة وتمليكها الى هذه الاوقاف. وكان لمهمتي علاقة بموضوع الدعوى اذ كان يقتضي تعيين صنف الاراضي في تلك المنطقة اي تعيين الاراضي التي هي ملك صرف او اميرية مفوضة بالطابو او ممنوحة باللزمة او موقوفة لجهة من الجهات، وقد امضيت مايقارب الشهرين هناك. وكان من الطبيعي ان يزورني المرحوم داود سيسي (الذي تعرفت عليه اثناء تلك الفترة) بعد اوقات العمل الرسمي برفقه مختاري محلات تلكيف كما كان يرافقه احيانا نعمو شنكو الذي كنت معجبا بلباس رأسه المختلف عن البقية وهو عبارة عن معصبة منمقة بديعة الربط والمنظر. كما كان يزورني ايضا امين افندي وهو احد متولي اوقاف النبي جرجيس. ومنذ الوهلة الاولى اعجبت بشخصية المرحوم داود سيسي ولمست في اقواله الصدق والاخلاص وكان التأثر يبدو على محياه وعلى عينيه وهو يتحدث عن المصير المظلم الذي ينتظر اكثر من عشرة آلاف نفس من الرجال والنساء والشيوخ والاطفال في حالة صدور الحكم لصالح اوقاف النبي جرجيس، فاما ان يهاجر هؤلاء لانهم يصبحون بلا مأوى ولا ارض واما انهم سيصبحون عبيدا ومأجورين لدى متولي الاوقاف، في الوقت الذي هم فيه الان اسياد انفسهم منذ تأسيس هذه البلدة قبل آلاف السنين. وكنت المس اخلاصه وتفانيه لابناء بلدته وحبه لهم من خلال اقواله تلك التي كنت انا شخصيا اتأثر بها كثيرا وكنت اردد مع نفسي: حقا اين يذهب هؤلاء الآلاف من الناس اذا صدر الحكم لصالح الاوقاف المذكورة، وكنت دائما اطمئن المرحوم داود سيسي بان العدالة ستأخذ مجراها بدون شك، ولم يكن بامكاني ان ابين له

صراحة بان كل الدلائل المتوفرة تشير الى ان الحكم سيصدر لصالح اهالي تلكيف. والسبب في عدم الافصاح عن ذلك هو ان ذلك يتعارض مع واجبات وظيفتي، باعتبار ان تلك الواجبات هي جزء من القضاء ولا يجوز للقاضي في قوانيننا ان يحسس رأيه في القضية المطروحة امامه. والذي كان يؤلمني تباين مواقف اشخاص لا يتجاوز عددهم اصابع اليد الواحدة مع مواقف المرحوم داود سيسي، اذ كان هؤلاء بعكسه تماما يميلون الى جانب متولي الاوقاف ولم يكن يهمهم صدور الحكم لصالح الاوقاف. وكنت استغرب هذا الموقف واستهجنه وكان المرحوم داود يعرف جيدا موقف هؤلاء الاشخاص الذين كانت ضمائرهم قد ماتت وباعوا انفسهم للشيطان. وكلما كنت افكر بذلك كان المرحوم داود يكبر في عيني في الوقت الذي كان هؤلاء يصغرون الى حد الصفر. وبدون مبالغة لو ان المرحوم داود سيسي كان قد سلك مسلك هؤلاء ربما كانت حقوق كثيرة تضيع من اهالي تلكيف، لكن حرصه ووفاءَه واخلاصه لاهل بلدته ادت الى اندفاعه بصلابة الى الاستمرار في الدفاع والكفاح حتى تكللت جهوده بالنصر، حيث صدر الحكم برد دعوى متولي الاوقاف واعطاء الحق الى اهل تلكيف. كما ان من ضمن اسباب هذا الكسب المبين تمكن المرحوم داود من جمع قلوب مختاري المحلات وابناء بلدته والالتفاف حوله، لانهم رأوا فيه المنقذ الوحيد والشخص الوفي الذي يمكن الاعتماد عليه والذي يخدمهم بتجرد واخلاص منقطعي النظير. وقد لمست انا شخصيا هذه المشاعر من ملاحظاتي وتحقيقاتي. رحم الله الفقيد وتعازينا لابنه الزميل المحامي نجيب سيسي ولكافة افراد عائلته ولجميع اهل تلكيف الذين خسروا شخصا فذا احبهم واحبوه.

موجز كلمة الاستاذ نوري العمري:

كانت للمرحوم داود سيسي علاقات طيبة مع عدد من افراد عائلتنا ولهذا ذهبت لزيارته في داره في تلكيف عندما رشحتُ نفسي لعضوية المجلس النيابي عن المنطقة التي تدخل من ضمنها ناحية تلكيف، وذلك قبل مايقارب العشرين سنة قبل تلبيته لنداء ربه. وكانت تلك الزيارة ضرورية جدا لدعم حملتي الانتخابية نظرا للمكانة العالية التي كان يتمتع بها المرحوم داود ليس في بلدة تلكيف فحسب بل في القرى المجاورة ايضا التابعة

لهذه الناحية. وعندما واجهته وبينت له الغاية التي من اجلها قصدته رحب بي كثيرا ووعد بدعمي وتأييدي وألّح كثيرا في البقاء لتناول طعام العشاء عنده حيث كان الوقت عصرا، الا انني اعتذرت بسبب اضطراري لزيارة قرى اخرى للغاية نفسها، ولكنني وعدته بزيارته صباح اليوم التالي. وفعلا قمتُ بزيارته في الموعد المحدد فاستقبلني استقبالا حسنا وقدمني الى الحاضرين حيث كان مجلسه (ديوانه) مكتضا بالناس حسب العادة. وبعد ان قُدِّمَت القهوة العربية المركزة والمشبعة بالهيل وجه كلامه الى الحاضرين وطلب منهم دعم ترشيحي بكل قوتهم والايعاز الى كل من لهم تأثير عليه بفعل ذلك. فقطع الجميع عهدا بذلك. واثناء وجودي هناك كان قد حضر شخصان كانا قد اختلفا فيما بينهما على امر من الامور فقصدوا المرحوم داود سيسي ليفصل بينهما. وبعد ان عرض كل منهما وجهة نظره طلب الفقيد الاستماع الى اقوال الشهود الذين استشهد بهم المتخاصمان، فارسل شخصا لاستدعائهم وبعد ان حضروا واستمع الى اقوالهم اصدر حكمه في الموضوع ثم طلب من المتخاصمين ان يتعانقا كدليل لصفاء القلوب، وهكذا غادرا دار الفقيد وهما على وفاق ووئام بعد ان قبلا بالحكم ورضيا به. ولابد هنا من الاشارة الى ان اكثر المختلفين مع بعضهم من اهالي تلكيف كانوا يقصدون الفقيد لحل خلافاتهم ولا يذهبون الى الدوائر الحكومية المتواجدة في البلدة. وعلمتُ انه عندما يكون الخلاف كبيرا فانه بعد ان كان يصدر حكمه يطلب من المتخاصمين ان يبقوا عنده لتناول الطعام سوية على مائدته دليلا على صفاء قلوبهم تجاه بعضهم البعض. وبعد ان امضيتُ في مجلس الفقيد مايقارب من الساعتين غادرته بعد ان ازداد اعجابي بشخصيته وبالعدالة التي يحل فيها خلافات ابناء بلدته، وكان قد طمأنني بان منطقته ستكون مغلقة لي. وفعلا علمتُ بعد ذلك من بعض المرشحين الاخرين انهم قصدوه لدعم ترشيحهم الا انه اعتذر بلطف وصراحة قائلا لهم انه قد سبق له ان اعطى كلمته الى المرشح نوري العمري ولا يمكنه ان يتراجع عن وعده باي حال من الاحوال. وعندما ظهرت نتائج الانتخابات تبين انني كنتُ قد حصلتُ على اعلى الاصوات في تلك المنطقة الانتخابية.

هذا هو المرحوم داود سيسي رجل شهم وعادل ومحب للخير ذو عقلٍ راجح اذا وعد بر بوعده، وخدم ابناء بلدته في كثير من المجالات بتجرد واخلاص، وكان ملاذا للمظلومين

والفقراء والمحتاجين كما كانت ابواب بيته مفتوحة دائما لاستقبال الضيوف وتأمين المأكل والخدمات الضرورية لهم مهما كان عددهم حتى لو تطلب ذلك قضاء الليل في ضيافته.

رحم الله داود سيسي الذي افتقده بنو قومه وسكان منطقته على حد سواء واسكنه فسيح جناته والهم اهله وعارفي افضاله الصبر والسلوان.

الذين خلد التاريخ اسماءهم

لم يكن داود سيسي أميراً أو وزيراً أو عالماً أو مخترعاً ولا شخصاً طبقت شهرته الآفاق فاذا كان له شهرة فانها محدودة واذا كانت له زعامة فهي على فئة صغيرة في هذا العالم المتلاطم. فمن الذي اذن سجل له التاريخ اسماً لايمحى مدى الدهور، وكم هم الذين خلد التاريخ اسماءهم بين طياته؟

فاذا كانت هناك عظمة وشهرة يسجلها تاريخ هذه الدنيا لزعماء الامم الكبيرة وللاسماء التي تلمع على مسرح هذا العالم، فهناك عظمة اخرى تجاريها، وقد تفوقها، وهي عظمة الرجال الصالحين، اولئك الذين خدموا قومهم باخلاص وتفان وكفاءة وجدارة، وهدوا ابناء جلدتهم في الظروف العصيبة والساعات الحرجة. ولا شك ان داود سيسي كان واحداً منهم. فحقت فيه كلمة الكتاب، ان ذكرى الصدّيق تدوم الى الابد.

The Remains of Nineveh

or

The History of Telkaif

by

Yousif Hermiz Jammo

(All Rights Reserved)

Baghdad - Iraq
1937

Revised Edition
Publisher: Sons of the Author

Eastern Graphic & Printing - Michigan 1993

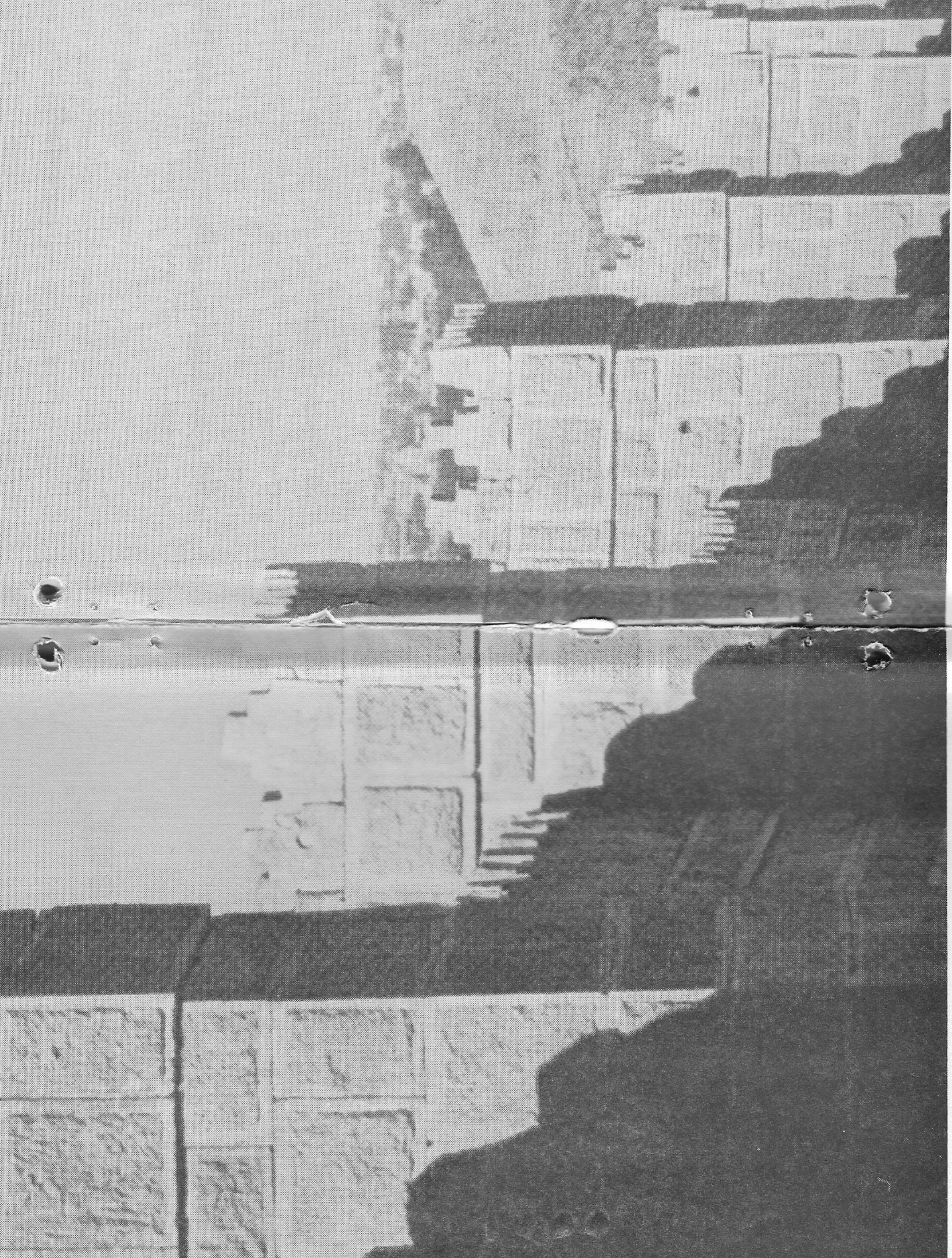

The Remains of Nineveh

or

The History of Telkaif

by

Yousif Hermiz Jammo

Baghdad - Iraq
1937

Revised Edition
Publisher: Sons of the Author

Eastern Graphic & Printing - Michigan 1993